

رواية

العاشق البدوي

عبد العزيز بركة ساكن



حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : رواية العاشق البدوي
المؤلف : عبد العزيز بركة ساكن
رقم الإيداع : ٢٠١٦/١٦٧٥٥
الترقيم الدولي : ٩-٣١-٦٥٦٥-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٦



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان خليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٥٧٤

إهداء

إلى: أبوبكر عبد الرحيم

في الحب : مَنْزِلَةُ الشَّبَحِ

قال لي الشرطي الوسيم:

- أحبك يا سارة أحبك جدّ، ولو وافقت على الزواج،
عندما تطلعي من هنا، ح نتزوج.

قلت له:

- أنا ما بحب ولا فاضية لمواضيع فارغة، وكان حبيت
ما بحب، في الوقت دا ولا في المكان دا، ولا في الظروف
دي ولا واحد زيك.

قال في برود.

- أنا عارف الشيوعيين عندهم رأي في العساكر وناس
الأمن والشرطة.. وكثير من الناس يعتبروننا بدون أحاسيس
ولكن المشاعر الإنسانية مفروض تكون ليها مكانة خاصة
.. وبعدين العسكر ذاتهم خُشْم بيوت، زيهم زي أي زول.
فيهم الصالح وفيهم الطالح.

قلت له من بين أسناني:

- وفيهم المثلث.

قال ساخرًا:

- المثلثي نادر.

ثم أضاف ضاحكًا.

- أنا مُش أسيبك.. وفي يوم ما حتلقي الحقيقة وتزوج،
وأنا جاد .

وما كنت أظن اليوم (الما)، هو نفس الليلة، عندما أخذني الحرس
بعربة وأنا مغمضة العينين إلى هنالك، كنا ثلاث فتيات، لم أرهن من قبل
وكانت، تظهر عليهن علامات الضرب والتعذيب قلن لي: إنهن طالبات
بالجامعة في السنة الأولى، قلن: إنهن يعرفنني جيدًا، وكنت أمثل لهن
نموذج المرأة المناضلة وحكيمة الكثير من المواقف والبطولات
والتي ما عادت تهمني الآن، كان تفكيري كله ينصب في أمر واحد:
الحرية، أريد أن أخرج من هذا المكان بأسرع ما يمكن.

بعد أن قدموا لنا وجبة العشاء، بدأ التحقيق، وفي ربع الساعة الأولى
من التحقيق أحسست بالدواء يتملكني، كنت أرى كل شيء وأسمع كل
شيء، كما لو كنت في الحلم، ولكن عضلاتي لا تستجيب لأية حركة.
قامت الطالبتان بتجريدي من ملابسني ووضعني على فراش بالأرض، من
ثم جاء الشرطي الوسيم ومارس الجنس معنا الثلاثة. البتان سعيدتان
تضحكان وهن يهينني في أوضاع مختلفة ويرضعن صدري، بل يفعلن

بي أسوأ من ذلك. عندما استيقظتُ في الفجر، وجدتُ نفسي وحيدة في حجرة بالمعتقل، كانت أصوات المعتقلات تأتي من بعيد مختلطة بهمهمة العسكر ولجبههم وكركة معالجة السلاح والأقفال. يؤلمني ما بين فخذي جُرْح، أحس به عميقاً في روحي، عميقاً في مشاعري، عميقاً في كبريائي وإنسانيتي. ثم جاءني الشرطي، تحدث مباشرة، وكأنه يكمل كلاماً كان قد بدأه سابقاً:

- لقد كنت مدفوعاً لعمل ذلك مدفوعاً ليس من أحد ولكن.. بالحب الحب وحده.

قلت له مغتظة .

- حا أقتلك إذا خرجت حية من هنا..

ابتسم وهو يقول:

- حترجي حية من هنا ... وأنا أعرف وما حتقتليني، ما تقدرني تقتلي .. نملة. المهم تعرفي أنا بحبك وما أخليك، كوني مثل صاحباتك هم الآن أحرار، وأخير ليك تفصلي معاي، كوني مثل صاحباتك هم الآن يستمتعوا بكل لحظة يقضوها هنا، وحياتهم الليلة أكثر سعادة من الأول.. حرية تامة هنا.. أية شيء هنا بدون ذنب، ذنبك كله على وعلي الحكومة، أنا قبلان، أنو أدخل النار عشانكم ... فأنت سجينه في يد غيرك وتصرف غيرك ... وذنبك برضو على غيرك.. هي فرصة أنك تعملي أي شيء كنت محرومة

منه.. وأنا ماشي وما عايز رد الآن.. فكري في الموضوع .

كنت أحس أنه يسخر مني، وهذا فصل من التعذيب آخر، قتل الروح المعنوية وتدمير الذات، كان كلامه ينخر في عظمي كالسوس. وذهب.

أخذت سارة حسن إلى الجزء الجنوبي من المحراب، الجزء الذي له مكانة خاصة عند المختار حيث القطيع الكبيرة، قطيعه الرُّوح، محاطة بشجر عرديب كثيف شديد الخضرة، حدثني عن أشياء تعجبها في نوار سعد ودرس تعلمته في السجن.

وقالت: إن علاقة نوار سعد بأمين محمد أحمد هي ذات العلاقة بين سجين وسجان، الفرق هنا أن السجين هو أمين محمد أحمد، والسجان هو نوار سعد، والسجن ليس، إلا فكرة ملحة في ذهن كليهما، قرأنا معا ما كان مكتوباً على بوابة المحراب من طاسين الحلاج:

لو علمت أن السجود لأدم ينجيني،

لسجدت،

ولكن قد علمت أن وراء تلك الدائرة دوائر،

فقلت في حالي، هب أني نجوت من هذا الدائرة،

كيف أنجو من الثانية والثالثة والرابعة.

المحراب نظيفاً، وفراش المختار يشع جهالاً وسكوناً، كتبه على

المنضدة مصحفه على المقرأة، حذاؤه الجلدي المركوب الفاشري على المحذأة، يفوح عطر الصندل من كل أنحاء المكان، المصلاة مهياةً موجهة إلى القبلة، كل شيء يؤكد أنَّ المختار موجود، الآن وأنه خرج ليتوضأ ويعود بعد لحظات قلائل، أنه الآن، يدخل المحراب، طويلاً يرتدي الدمور الأبيض يسلم على السيدتين ولا يتبهن، كانت سارة حسن، تحدثني عن السجن والشرطي الوسيم، قالت وهي تكتب:

إذا جمعنا قُبْح العالم كله لن يساوي شيئاً يسيراً من قبح البنتين السجيتين وفجورهن. جئن إلى في الزنانة في ذات الصباح وطلبن مني العفو، قلن إنهن يفعلن ما يؤمرن، وأنهن يفضلن الحياة بمائة مرة على الموت وأنهن يرغبن في الخروج من المعتقل يستكملن دراستهن، يتزوجن وينجبن أطفالاً مثلهن مثل كل النساء..

- وأظنك كذلك تحبين الحياة.

قلن: أن لا أخلاق في هذا المكان ولا دين ولا رب ولا رسل.. هنا فقط الضابط الوسيم: الأول والأخير.

بصقت في وجه إحداهن، مسحت البصقة بظهر كفها، طلبن مني العفو مرة أخرى، مما أخرجني، فاعتذرت لها.

فاغتصبني في ذات الليلة، بدون عشاء مفخخ، رغم الجرح والألم، رغم النزف، لكنني لم أستعطفه، لم أرجه، لم أصرخ، كنت أبصق في وجهه كلما امتلاً فمي باللعباب: يتسم.

ثم بعد ذلك طلب أن يتزوجني، مؤكداً أنه اكتشف أن كل ما كان يدور حولي من تهم مجرد افتراء حكومي بغرض.. وتكفي عذريتي التي انتهكها شاهداً على براءتي : قال ذلك وفي فمه ما يُشبه الموت.

تزوجني بحضور شهود لهم جلابيب بيضاء وعمامات بيض وأوجه قبيحة وقرؤوا ما تيسر لهم من القرآن، وأُخذت إلى شهر العسل في الفندق العجوز الذي اكتشفت أننا القاطنان الوحيدان به، حُرّاس، عسكر الدورية وأنين يأتي من البعيد ليلاً ونهاراً: كان مكانا مرعبا، فارغاً، لا حياة فيه سوى الفراغ، الصالات الضخمة الفارغة، البهو الكبير الفارغ عند المدخل، عشرات الحجرات الكبيرة الفارغة، الممرات التي تمضي بين هنا وهناك في صمت وفراغ، صدى طرقات الريح على الأبواب والنوافذ، هبوبها في المماشي الفارغة، صليل أنفاس الفراغ، صدى صرخات الوطاويط الحزينة السجينة بالمكان، رائحة الموت.

لحق بنا ما يكل وبرهاني وأمين، خلعوا الأحذية عند المحراب، لم ينتبهوا إلى ما كتب مقابلاً للمدخل من مقالة إبليس في طس الدائرة، دخلوا، جلسوا على الأرض في أدب جمّ.

أضافت سارة جملة أخيرة إلى دفتر مذكراتها قبل أن تخلد إلى أصحابها:

كان شخصاً مرعباً ومعقداً.. ولا يمكن فهمه مطلقاً.

القبرُ : روضةٌ من رياض الجنّة

كنت وجمال الأمين وهو الشرطي الذي تزوجني، نجلس عند الحديقة المتوحشة الصغيرة الداخلية للفندق العجوز المهجور، كان هذا الفندق في أزمنة الاستعمار الإنجليزي قصراً فخماً لاستضافة كبار الشخصيات القادمين من العالم المسيطر، ذواقات وغرف شاسعة بسقوف عالية ترفعها أعمدة من الرخام في غطرسة وشموخ، تحول القصر بعد الاستقلال إلى فندق خمسة نجوم، لم يغيروا فيه الكثير، ربما أضافوا إليه حديقة صغيرة في الجزء الخلفي، وهي التي نجلس عليها الآن، وعدلوا في نظام الصرف الصحي الخاص به، حيث أنه كان يعتمد على التفريغ اليدوي والميكانيكي، وتحول إلى نظام المجاري الذي يصب في النهر مباشرة وبدون أية معالجة. الفندق يقع على ضفة النهر الشرقية، ولا يفصله عنه سوى شارع النيل. لأسباب لا يعلمها أي من المواطنين الشرفاء، تحول هذا الفندق إلى بيت من بيوت الأشباح، تستغله السلطات في أغراض أمنية بحتة.

كانت الإضاءة خافتة كما يفعل من لا نراهم دائماً. حدثني عن عمله المرهق، قال إنه سينزل المعاش وسوف يأخذني إلى القاهرة لكي نعيش هنالك في أمن وسلام، حيث نقدم للهجرة إلى كندا، أستراليا، فرنسا أو إذا ضرب حظه وأصابه اللوتري الأمريكي : فيا حظنا.

فأنت شيوعية معروفة، وأنا بإمكانني أجيب ورقاً من رئاسة أمن الدولة بأنك كنت تحت الاعتقال، وثائق حقيقية من ملفك الشخصي مباشرة، وثائق تفتح قدامك أبواب الدول العظمي كلها في لحظة واحدة، بداية بإسرائيل نهاية بأمريكا، وبالتالي نبعد من البلد دي ومشاكلها. قلت له وقد أحسست بإهانة بالغة تخنقني.

- أنت ساذج وللا بتفكرني أنا ساذجة؟

- أنا بتكلم عن مصلحة، أنا زول عملي، وما عندي أية مصلحة في الحكومة دي ولا البلد دي ولا الناس ديل، في الحقيقة أنا زول غلبان زيك، لا أحلم بتغير الكون ولا السيطرة على العالم، عايز أعيش وبس.

قلت له بجدية ووضوح تام:

- أنا عكسك تماماً، أنا ما غلبانة، وعندي مصلحة في البلد دي وفي ناسها وحتى حيواناتها، وبحلم بتغيير العالم للأحسن. يعني أنا عارفة عايزة شُنو وبعمل في شُنو؟ وأنت لو لا أنك مستخدم سُلطتك

ضدي والله ما بسلم عليك في الشارع.. أنت زول تافه وزيك زي أي حُثالة.

—أنا؟

نهض فجأة في حركة مسرحية، دائماً ما يقوم بها عندما تغلبه الحيلة فيحاول إخافتي.

إذا برجل عارٍ يصرخ وهو يجري في الحديقة باحثاً عن مخرج، يتجه نحونا صارخاً طالبا النجدة، وإذا برجلين أبيضين ملتحيين سميين كانا يتعقبانه، يلتقيان به أرضاً بضربه حرة في مؤخرة رأسه، يلحقها به أحدهما، فيسقط متأوها، يجرانه على الأرض جرأً، ثم يختفي الجميع في ظلمات الفندق العجوز المهجور، تتبعهم همهمة واستعطاف هزيلين. حدث ذلك كما لو كان شريطاً سينمائياً سريعاً، كما لو كان كابوساً طويلاً، كما لو كان فلماً هتشكوكياً.

دا شنو؟؟؟؟

صرختُ في رعب، قال ببرود وكأن شيئاً لم يحدث

— أحد الخونة هرب من الاستجواب.

قلت له في غيظٍ:

— من التعذيب ولا من الاستجواب؟

قال مبتسماً:

- من الاستجواب.

قلت له وأنا أرتجف خوفاً.

- الزول دا جسمه كله مُجَرَّح ومَحْرَق والدم سايل من ظهره
أنت ما لاحظت؟

قال في برود وهو يهز ساقيه بإيقاع داخلي

- يكون وقع في مصيبة عوقته .

قلت له .

- وديل سُنو الناس البيض ديل، شياطين؟

قال وهو يجلس في مقعده بهدوء:

- ديل خُبراء تحقيق من أبناء عمومتنا العرب، كانوا في
أفغانستان، حاربوا الروس الشيوعيين هناك، عندهم خبرة كبيرة في
التعامل مع اليساريين والجواسيس بصورة عامة .

قلت له بطريقة جادة وأنا أنهض من الكرسي

- خلينا نخرج من المكان دا..

قال مبتسماً

- لوين؟

- لأية مكان تاني.

لا يُوجد مكان أهدأ من هنا.. الحدث دا ما حيتكرر تاني..
أوعدك.. أنا حاسم الموضوع دا نهائيا.

أفضل نمشي من هنا، بس نطلع من هنا، وأنت ليه ما عايز توديني
البيت، مش خلاص عرستني؟

أنت قبل شوية ما قلت أنا تافه وما حتسلمي على في الشارع؟

أنا اتراجعت، حأسلم عليك، بس وديني بيتنا

بيتكم..!

أيوا!

ولكن.. خلي التحقيق معاك ينتهي، أنت لَسَّعْ في نظر القانون
خاينة، وخطرة على الدولة وهم طالبون منك طلب بسيط وأنت ما
عايزه توفي بيه.

- كويس لو بقينا هنا.. حأكتلك..

- تكتليني أنا؟ عملتَ ليك شُنو؟

- نعم.. حأكتلك أنت... ومن الأحسن تأخذ المسألة مأخذ الجد.

قال محتاراً، أو مراوغاً

- إذا نمشي وين؟

قلت له بحدة

نمشي إلى الكهوف ...

ياتو كهوف..

كهوف مايا زوكوف..

سأل ضاحكاً

مايا زوكوف؟!

نعم..

كُهوف كُلية الفنُون الكُلها قُبور وشَياطين؟!

نعم ...

لكنهم ما يسمحو لنا نمشي هناك.

بإمكانك تدبيره.. أنت موظف كبير ومسؤول.. وأنت البتسمح
والما بتسمح.

قال وقد تراجعَت ضحكته إلى ابتسامة بائلة.

خليني أفكر في الأمر..

ثم أضاف بعد صمت طويل

- أنت شيطان بحق وحقيقة وأنا مسكين وقعت في حبك ...

كنت أعرف أنه كاذب وتافه وحقير، ولكني لم أستطع أن أكتشف

ماذا يرمي من وراء لعبة الحب هذه وهو ينال كل شيء مني بإرادة السلطة والقهر والآن بشرعية الزواج لا أعرف ماذا بعد، ولم يجب، أعادني إلى المعتقل. بعد خمسة أشهر أجريت لي أول عملية إجهاض، كانت عنيفة ومؤلمة، في الحقيقة كان إجهاضاً جماعياً، كنا عشرين فتاة، جميعهن من الجامعة، جميعهن تم اغتصابهن بواسطة ذات الشرطي وتم زواجهن جميعاً له بمأذون زيف وآيات وأحاديث وسنة وشهود منتهكين..

كنا في عنبر كبير من الزنك متسع، تفوح منه رائحة الوطاويط، يسكنه البوم والصراصير. جاء، حدث ذلك بعد أسبوعين من مأساة الإجهاض الجماعي. وقف عند المدخل منتفخاً كأنه رب حجري من الحصى والرمل والطين. رافعا رأسه للسماء بهتلية بائدة بائلة، يرفع كلتا يديه في تحية للعالم الذي تحت قدميه، قال بصوت عال:

- لا تخافوا... حتحملوا ثاني من جديد وتستمتعوا بحريتكم بعيداً عن الأسرة والقوالات... يا حبيباتي الشيوعيات الصغيرات الطاهرات العاهرات.. ما أجمل أن يجد الرجل نفسه بكون كله من الشراميط؟

شراميط زي الورد!

ثم طلب من الحرس أن يأخذني إليه، قلت للحرس، لن أذهب ولكنه أكد أن الرئيس لا تعصي أوامره، وأنه فوق كل ذلك يقدرني

بشكل خاص، وهذه مكانة لا ينالها شخصٌ في قلبه سوي حبه للنبي ﷺ وآل بيته

أيعرف النبي؟! ... هذا الذئب، هل يعرف الله؟

تذكرت أنه قال لي ذات مرة إنه مسلم ملتزم، وأن ذلك لا يتناقض مع ما يقوم به من معاصٍ وذنوب، لأنه عندما يتوضأ للصلاة، فإن الوضوء يغسل عنه الذنوب الصغيرة جميعها : مثل ضرب المعتقلين وتعذيبهم، بعض التجاوزات المالية الصغيرة والكبيرة منها، كل أنواع الكذبات والاحتيال، النظر إلى النساء ولمسهن وما شابه تلك. أما ما يقترفه من كبائر مثل شرب الخمر، الزنى، القتل_ نادرا ما أقوم به-وما شكلهم، فإنه بحجه السنوي لبيت الله الحرام -الذي تكفله له الحكومة وتحرص عليه_ يخلّص نفسه منها، ويأتي كما ولدته أمه، نقياً نظيفاً عفيفاً.

وأكد لي، أن الله يغفر الذنوب جميعاً، ما عدا أن يُشرك به، بالتالي يا سارة : أنا مهما عملت، قتلت، نكّت، سرقت، ضربت، كذبت وعملت السبعة وذمتها، ذنوبي لا تساوي ذرة من آثام الشرك ألفي رقبة شيوعي واحد صغير أتجند ليهِ يومين.

أنتم لا تصلون، لا تصومون، بالتالي لا تتوضؤون، لا تحجون بيت الله الحرام والأدهى والأمر تشركون به.

أكد لي الحرس ببرود بغض.

من الأحسن أن تحتفظي بالشيء الما ينقال في شرك وعلي كل حال حتمشي ليه حتمشي ليه.

أول مرة أرى مكتبه، كان أفخم مكتب أراه في حياتي، أعظم مما يُقال عنه، وكان يلبس كأبهي ما يكون، يفوح من المكتب عطر عظيم يتخلل المسام ويلج إلى القلب مباشرة، كنت قد غُسلت وغُيرت ملابسي وهُيئت للقائه، قال..

الآن سأحقق رغبتك، حنمشي إلى كهوف مايا زوكوف فلاديمر، أو مايا العزيز أو كهل المخابرات الروسية في العهد الشيوعي البائد، الرقم تسعين زيرو زيرو.. حنمشي برانا ونكمل شهر العسل هناك.. عايز فقط أبرهن ليك حبي..

برانا.

- نعم برانا أنا لا أخاف إلا الله، وأعرف أن الله لا يفعل بي إلا خيراً، حرسني هو الله وأنا آخذ إجازة من اليوم، عايز أتفرغ ليك سُوية، أدكيك حقك الشرعي، زوجتي الأولى قضيت معاها ستة شهور في العسل.

- وحبباتك الشيوعيات.

ضحك، بل قهقهة قائلاً:

- أحبك أنت فقط.. وأنا راجلك أنت بس، والبقية أقوم بواجبي

الوظيفي تجاههن لا أكثر..

وقبل أن أقول شيئاً دخل الحرس، أكد له أن كل شيء جاهز وخرجنا بعد أن قبلني بعمق واعتذر لي في مسألة الإجهاض وقال ذلك تم بسلطات أعلى من سلطاته ولا ذنب له ولا يد له في ذلك.

ولو على كنت احتفظت بعيالي كلهم، أنا أحب الأطفال، وكل طفل مات كأنه قطعة من كبدي انقطعت.

وقال لي إنه مسئول فقط عن نشاطات الشيوعيات، هنالك من هو مسئول عن نشاطات حزب الأمة، آخر للاتحادي، آخر لأنصار السنة، وآخر للحزب الحاكم نفسه حين يجب الضرب بيد من حديد: في اللحظات الحرجة، لا فرق. هنالك أيضاً، رجل صديق مسئول عن البعثيات تابعت للعراق وآخر لمن يتبعن سوريا وحدثني عن خبراته الكبيرة المتراكمة في هذا المجال حيث أنه يستطيع التفرقة ما بين الشيوعيات الماركسيات الملحقات منهن والمسلمات، وذلك بمجرد أن يولج ذكره في الواحدة منهن قال: إن التروتسكية، ثم ضحك حتى سال الدمع من عينيه وهو يقول

- الزملاء الذين يتعاملون مع أنصاريات السنة والجهجيات والأنصاريات وغيرها من أحزاب اليمين يقولون شيئاً عجباً.. لا يمكن.. نعم لا يمكنني قوله لأنني سأموت من الضحك.. ثم أستغفر الله وواصل في القول، إن دخول هذا الشيء في امرأة غصباً

عنها لأمر مدهش لولا ارتباط ذلك بالمهنة لأصبح أمرا مسليا
ولألفنا فيه كتباً كثيرة.. قال، التروتسكاويات تبصق الواحدة في
وجهك مباشرة، وبالنسبة للفرد المدرب يجب ألا يغيظه ذلك بقدر
ما يجب عليه أن يسجل ملحوظة صغيرة في ذهنه العملي إن: الزميلة
تروتسكية. وأن يستفيد من ذلك في التحقيق، وقد يقوم بلحس
البصقة في متعة تغيظ المتهمه أكثر.

الماويات يكتفين بالصراخ والضرب وسب الدين، أما أنت
فعرفتك بإشارة لن أقولها لك مطلقاً.

ضحك. دخن سيجارة، نزلت العربّة عن طريق الأسفلت متخذة
الطريق البري إلى كهوف مايا زوكوف، يبدو أن أحدهم قد سبقنا إلى
الكهف، فكان نظيفاً، تفوح منه رائحة العطور الخشبية وبه كرسي
مريح، أمامه منضدة وبالقرب منه حافظة ماء كبيرة نظيفة، على
الحائط تُوجد معاول وجاروف ليسا بعيدين عن باب الكهف.
جلس على الكرسي مباشرة حيث لا يُوجد مقعد آخر جلست أنا
على مقعد حجري كبير كان قد نحته طلاب كلية الفنون في عصر مايا
العزیز وكنت واحدة منهم، قال لي: إنه بالداخل يُوجد سرير
ومفارش مهياة سوف نقضي ما تبقى لنا من شهر العسل هناك: يا
حبيبي.. وأنا لا أحب أن أكرر الأوامر، ولا أحب أن يُغدر بي: أنا
وحدي مسموح لي بأن أغدر بالجميع لأن غدري في المصلحة
العامّة، علينا نتفق على كذا.

كل ما تحتاجين إليه تجدينه على الحائط قرب القبر، أنا سوف استرخي قليلاً بالمناسبة.. حافظ.. المفروض يكون جوه القبر دا، لكن للأسف لأ... يعرفني جيداً كان صديق دراسة، لعبنا سوا واتشيطنا سوا، بعرفني المرحوم دا... حق المعرفة، نعم كنا شباباً متطلعين للحياة لكن كل واحد منا كان يرى المستقبل بصورة مختلفة عن الآخر، بينما شلت أنا سكة الحياة، هو اختار سكة الموت والنتيجة هي زي ما شايفة.

منو مننا الأبقى؟!

ومنو مننا الهالك؟!

منو الخسران.

ومنو منا الربح البيع؟!

لقد أدخلوه في مفرمة كبيرة تستخدم لسحق عظام العجول.. ها.. ها.. يا حبيتي الجميلة الطاهرة. نحن في قسم النساء مهماتنا صعبة، حقيقة، وأنا بالذات أكثر زول في الأفراد تعبان، ضحك في هستيرية، ثم أضاف: لولا أن صادفتِ فحلاً مثلي لما استطاع كائن ما كان أن يقضي المهمة في ليلة واحدة.. صدقيني.. لقد أكبرت فيك التزامك بالخلق الحميد، خلق يليق بكم يا لكم من شيوعيين وبعثيين ومطاليق: تكفرون بالله ورسوله ولا تفرطون في غشاء بكماراتكم؟

أنتم توفرون لنا اللذة في تمامها. أنا سوف أسترخي قليلاً، وإذا بدت منك أية حركة سوف أقتلك فوراً.. ثم آخذك إلى الحجرة الداخلية بالكهف الصغير حيث أعد لك الرجال قبراً جميلاً يليق بمقامك.. نحن لا نترك شيئاً للصدفة: لكنه لم ينم.

توقفت سارة حسن عن الكتابة، كانت تتذكر الحوادث كما لو أنها تجري الآن نُصب عينيها، شربت جرعة كبيرة من الماء، أطفأت نور السراج الصغير، ذهبت نحو الفراش، أزاحت قدم آدم قليلاً، أزاحت عنه الغطاء كُلية، استيقظ مذعوراً، ضحكا، تعانقا، مسح بكفه على شعرها، حرره من رباط الحرير، كان شعرها ناعماً له رائحة عطرة، بأناملها تعبت في شعر صدره، تحب ذلك المكان، يثيرها ملمسه الخشن. قبلها بعمق، منذ أن هربت سارة من المُعتقل أُصيبت بغوبيا من الجماع، وكان آدم يحاول أن يخلصها منها، إلا أنها حالما تنكمش في اللحظات الأخيرة على نفسها، وتصبح مثل كُرّة مغلقة من المعدن. وقد تصرخ، ولا يُمكن التعامل مع جسدها بعد ذلك إلا إذا ضُربت، وآدم لا يفضل ذلك ولكنها تجبره على ضربها حتى تستسلم للفراش، وربما لهذا السبب بالذات اختاراً قُطية تقع على أقصى جنوب المحراب، تقريبا على ضفة النهر الصغير. بجسدها خرائطٌ لبلاد لا عناوين لها، صنعتها عصا الجلالد، وتبدو الجروح العميقة مثل نُهيرات جفت منذ عصور سحيقة، والحروق أخايدٌ وأطلال براكين. يعرف آدم كل أثر في أي موضع كان، رسم

ذلك مرات عديدة في لوحات جميلة مرعبة، كان يسميها قديسة العذابات والشهيدة الحية مرة، يحبها آدم كما هي وبما هي عليه بالضبط، ما يؤلمه حقاً أنه يضربها مضطراً، وذلك لأجلها، يضربها بسوط له فرقة مٌدوية ولكنه لا يؤلم كثيراً، بل يؤلم كثيراً، قال له الطبيب النفساني: هي مسألة وقت لا أكثر.

كنت أجلس قربهِ وأنا في غاية القلق والتشاؤم، الدنيا تضيق في عيني أكثر في كل لحظة يأْسَ تمر بي، لماذا أنا هُنا، في الحقيقة لم تفدني كل التبريرات التي خطرت بذهني في تلك اللحظات، ما يخص الدافع الوطني والإنساني والبطولي، انتهاء بالواجب الحزبي، لقد كفرْتُ بكل شيء، لولا أنني لا أعرف إجابات مُقنعة لأسئلتهم، لجابوت، فلقد كانوا يطلبون مني المستحيل، كانوا يريدون أن أدلهم على قوائم العضوية، وعناوين الحزبيين وأين يختبئ الذين لا عُنوان لديهم، الذين لم أسمع بأسمائهم ولم أرهم من قبل، ومن هم وماذا يفعلون الآن؟ كانوا لا يصدقون أنني لا أستطيع الإجابة على أي من هذه الأسئلة، لأنني ببساطة لا أمتلك الإجابات الصحيحة لها، فكنت أؤكد لهم بأنني لست سوى طالبة جامعية نشطة، تكره فيما تكره السُلطة الحاكمة وتحب فيما تحب اليسار، المسألة ليست أكثر من إعجاب، وإذا كنت أعرف أية معلومة تخرجني من هذا الجحيم لقلتها بدون تردد.

يبدو في هذا اليوم سعيداً، ومتفرغاً لمتعته الخاصة، وقد عبر لي

أكثر من مرة أنه لا يخدم وظيفته بأكثر مما يمتع نفسه، وعندما يتعارض الهدفان، فإنه يتبع هواه، وقال لي الآن: أنا اتبع هواي.

كان الكهف صامتا، إلا ما تتسرب إليه من أصوات قُبرات وأطيّار ليل من بعيد، وقد يُسمع صفيّر ضب أو صرير جندب بين الفينة والأخرى. كنت أرتدي كامل ملابسي، بل وحذائي أيضاً، عكسه تماماً حيث أنه يبدو كما لو كان في بيته، مسترخياً في ملابسه الداخلية، حافي القدمين. كان رأسه الحليق يعكس أشعة الضوء الخافت وهو يهتز مجارياً إيقاع أغنية يؤديها في صمت.

قال لي بهدوء مُرعب، وهو ينظر في عمق عيني

- تعالي يا حبيتي.

قال الكلمة الأخيرة كما لو كان يؤدي أغنية

ثم أخذ يهذي كالمجنون: «الحبيبات لا يخلفن ميعادا»

أخرج من حقبة صغيرة زجاجة خمر مكتوب عليها DRY GIN
قال لي :

- كنت عايز أنوم، ولكن قلت : من الأحسن نشرب مع بعض
شوية جنّ وننوم سوا. وشايفك متوترة ومزاجك عكران، ولا بسة
لبس ستة، تعالي اشربي شوية جن يمكن تروقي حبة.

قلت له، وأنا أقف بعيداً عن يده الممدودة في إلحاح

- أنا لا أشرب الخمر ولا أحبها.

قال وفي فمه ابتسامة بُنية

- دا خمر مستورد، جن انجليزي، وهو ليس من الخمور المحرمة
والعرب ما كانوا بيعرفوه في زمان الوحي، بالرغم من إنهم أول من
قَطَر الكحول في العالم، ولكن فاتت عليهم حكاية الجن دي.

قلت بصورة قاطعة.

- محرم أو غير محرم أنا ما بشربه.

قال ملوحاً لي بالزجاجة.

- طبعاً بتكوني مُسلمة، فإذا كنت مسلمة أنا أعدك بأن ذنبك علي.

قلت له في إصرار

- برضى ما بشربه.

قال، وهو يتلع جرة ضخمة، ويدفع بحزمة كبيرة من الهواء
خارج جوفه.

- كلنا مسلمون، ولكن سُوية معصية ما فيها مُشكلة، ثم أضاف

أنت عارفة يا سارة، لو شربت سُوية وشَعَشَعْتِي وبعد داك مارسنا
مع بعض حتعرفي قيمة الحب، ما في أجمل من الخمر والجنس سوا.
والجن بالذات يَهَيِّج الزُّول.

- أنا هنا سجين وبس وما عندي أي رغبة في شيء لا جنس ولا خمر، كلما احتاج لي حريتي، عايزه أمشي بيتنا وبس.

قال بعد أن ابتلع جرعة أخرى.

ولكن أنت مُسّ اخترقي براك المكان دا؟

قلت له

أنا عايزة أكون حرة؟ الكهوف برضها سجن.

قال دون مبالاة، وكأنه يتحدث إلى طفلة

إن شاء الله قريباً جداً حتاخدي حريتك، وحنحتفل سوا بالمناسبة دي، بس أشربي سُوية دواقة ما أكثر: بُقَّة بُقَّتَيْنْ.

ومد لي الزجاجاة، فرفضتها وذهبت بعيداً في عُمق الكهف تاركة إياه، كان يغني بصوت عال والغريب في الأمر كان يمتلك صوتاً جميلاً شجياً وهو يغني مُقلِّداً صلاح الضي:

يا طير يا ماشي لأهلنا

بسراع وصل رسايلنا

أتيت إليه مهرولة على إثر سماع فرقة الزجاجاة على الحائط، قال

أسف، أنا لَمَّان أكمل القزاة احتفي بها بجدعها، انخلعت؟

ثم سألني بصوت سكير وهو يحرك يديه في الهواء

إنت عارفة صلاح دا كتله سُنو؟ صلاح دا كتله الحُب، كان أروش ما بيعرف يحب والحب زي الحرب: عايز إستراتيجية وتكتيك، صلاح كان لأ، أنا بعرفة، كنا سَوا في ليبيا، غنينا وسكرنا ومَدَحنا، صلاح دا أحسن مَدَّاح في الدُّنيا، وأحسن زول، آآآآه، زمن والله ...

ثم أخرج زجاجة أخرى ثم أخرى .

ثم طلب مني أن أخلع ماتبقى من ملابسه جميعاً، وأن أخلع ملابسي ونذهب للسريـر، كان قد بدا ضعيفاً وهزياً وهو يقول ذلك، ولكنه فجأة غير رأيه قائلاً :

سارة، يا سارة.

أجبتـه في ضيق

نعم؟

قال لي آمراً

أمشي جيبي الكوريك.

سألته:

ليه؟؟

عايز أوريك حاجة.

كان الجاروف في موقع ليس بالبعيد عن باب الكهف، في

خطوتين نحو المخرج ألتقطه.

قال لي

اضربي به على القبر كما ضرب مُوسي عليه السلام على البحر.

قلت له.

ما فاهمة .

يعني ما عارفة كيف سيّدنا موسي ضرب بعكازه البحر لما سكاّه
الفرعون؟ أنت ما مؤمنة؟

ثم أضاف وهو ينظر إلى بعينين حمراوتين من فعل الخمر وفي فمه
ابتسامة مخمورة.

اضربي القبر يا زُولة، القبرُ دَا.

مشيراً إلى قبر صديقنا حافظ الذي قُتل ودُفن في الصحراء،
وعندما عثرنا على قبره بعد جهد جهيد ومغامرات ورشاوى، قمنا
بإعادة دفنه هنا في كهوف مايا زوكزف، حيث إنها كانت أحب
الأماكن لقلبه.

اضربي بقوتك كُلها كشيوعية لا تخشي في الضرب لومة لائم.

وأخذ يضحك. وقررت، بيني وبين نفسي: قرّرت.

وبمجرد أن ضربت على القبر، ضربة قوية بالجاروف، إذا بالقبر
ينهار وتسقط القبة الخارجية للداخل وهي تصدر صوتاً مُرعباً ثم

تظهر حفرة عميقة مظلمة لا نهاية لها.... قال ضاحكاً.

- انظري، فالقبر كما يقولون إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.... إنه قبر صديقك : روضة أم حفرة؟ نعم نسيت أن أقول لك إننا أخذناه من هذا الجحيم وأعدناه للصحراء مرة أخرى لأننا نحتاج للحفرة دي في الشغل.... ما رأيك حنقضي جزء من شهر العسل هنا.. جُوا الحفرة دي، في رومانسية وحشية أكثر من كِدا؟؟

لا أدري كيف ولا من أين أتتني قُوَّةٌ مُدهشةٌ في القلب واليد، لأنني دونما أشعر وجدت نفسي أضربه على صدره بالجاروف ليسقط على الأرض والدم يسيل من أنفه، كنت أضربه بدون توقف، بسرعة، بخوف دون تردد أو رحمة، دون تفكير، في كل مكان بجسده، إلى أن هَمَدَ تماماً. ثم قمت بسحبه إلى الحفرة ورميته فيها. فذهب لعمق لا أعلمه، مصدرأً دويأً هائلاً ثم صمت. بقيت واقفة أنظر في عمق الهاوية لزمّن لا أعرف مقداره، قبل أن أخرج، أطلق ساقِي للريح في الفلوات دون هدى، عندما انتبهت إلى نفسي وجدّني على مشارف المحراب.... وهنالك بدأت قصة هروب أخرى استمرت خمس سنوات..... وسأكتب ذلك تحت العناوين التالية: الجثةُ، الحريةُ، الكهفُ مرةً أخرى.

رسالة : الأصدقاء لا ينسون

أسوأ ما في الموت أنه يحرمك من التسكع ليلا في الشوارع، هي الفكرة الوحيدة التي توصلت إليها من خطاب دوشكا تودروف، صديقة وربما حبيبة مايا زوكوف. وهي السيدة التي أخبرتنا بموته أو انتحاره. لكي أقرأه مرة أخرى، وضعته تحت المخدة وخرجت. الفصل صيف، أخذت الأشجار تسقط أوراقها بكثرة عندما ترك عليها عصافير الدوري الصغيرة، أو عندما تعبت بها أنامل الريح، تعلمت من المختار ألا أتضجر من الأوراق المتساقطة لأنها كما يقول المختار.

- هي ما أوساخ قد تكون أي شيء آخر.. لكنها ما أوساخ.

الآن أحس بها أقرب إلى من كل شيء، كنت أجمعها برفق وأضعها في حوض ضخمة، قام بحفره أمين محمد أحمد، لم يحفره من أجل أوراق الأشجار ولكنه يود أن يفعل شيئا واضحا ولا يمكن محوه أو نسيانه بسهولة ليذكره بما سماه: أكثر أيام حياتي دهشة.

ولم يكتف بالحفر ولكن بني صرحا من الأسمنت كتب عليه:
أشكرك يا ربي على هذا اليوم المدهش.
على أرواح الأشجار المتقافزة في اخضرار،
على حلم السماء الأزرق الحقيقي،
وعلى كل شيء طبيعي،
وكل شيء غير متناه،
وكل شيء نعم،

قال: إنها قصيدة للأصلع الأمريكي أدوار أسلن كمنجز،
اكتشفت أنها أحب مكان لأوراق الأشجار المتساقطة وهي ترقد في
باطنها باطمئنان .

القديسة تقيم وحدها بالمحراب بعد وفاة المختار سيد
المحراب وأبيها الروحي، على الرغم من محاولة الأصدقاء أثناءها
عن ذلك ، لذا كانوا يزورونها يوميا، وقد يقضي كثير منهم الليل
معها بالمحراب، بل كانت سارة وآدم ومايكل في ما يُشبه إقامة
دائمة بالمحراب، أما سارة فكانت تجده المكان الذي يلهمها
وينشط ذاكرتها ويدفعها قُدا على كتابة مُذكراتها، كان قبر المختار
قد توسط الحديقة ، تقع عليه ظلال الأشجار الباسقة، وهو ما بين

الدومتين العجوزتين، شيدت عليه القديسة وأصحابها قبة ضخمة، فأصبح كقبر لأحد أقطاب الصُوفية في وسط البلاد الكبيرة. وهو أيضاً مزاراً يؤمه الأصدقاء والأصحاب والمريدون. لم يكن بالأمر السهل على القديسة أن تتجاوز أزمة موت المختار، لم يكن سهلاً أن ترى العالم في غياب حكمته اليومية وطلعته وابتسامته، بل في عمق نفسها ما كانت القديسة تظن أن المختار قد يموت، بل كانت توقن أنه هو الذي سوف يشرف على دفنها. لم يأت أحد من أقاربه ليسأل عنه، طوال هذه السنوات الثمانية التي مضت منذ أن فارق الحياة، وكأنه قد جاء من العدم وعاد على العدم مرة أخرى، كان صديقها أمين محمد أحمد يقول لها دائماً كلما طرقا سيرة المختار: المختار كان مجرد فكرة في رؤوسنا. ولا وجود فعلي له، وربما إذا نبشنا قبره سوف لا نجد فيه شيئاً.

أشياء كثيرة تغيرت منذ أن توفي المختار، تغيرت السُلطة السياسية بانقلاب عسكري، وقعت اتفاقات سلام مع فصائل إقليمية متمردة، أهمها اتفاقية السلام، نشبت حرب أخرى ضروس ما بين الحكومة ومواطني دارفور، مات فيها الآلاف وتشرد الملايين، أما على مستوى الأصدقاء فقد كان الأمر مختلفاً، فسارة بالذات التي أخذت تنعم بالحرية، بدأت حياتها من جديد، تمكن أمين محمد أحمد من الزواج من نوار سعد أستاذة الفنون، وهي في الحقيقة تكبره بأعوام

كثيرة لم يستطع أحد التحقق منها، وسيُحكى في الصفحات القادمة الكثير عن هذه المغامرة العجيبة التي خاضتها نُوار وأمين محمد أحمد، لا أدري ماذا يكون تعليق المختار على هذا الأمر إذا كان حياً، لا بد أنه سيندهش ولكنه - كما أعرفه - لا يرفض العلاقة على كل حال.

نورا سعد : لا وقت للأقنعة

كتب أمين محمد أحمد إلى القديسة .

« بعد أن تزوجنا أنا ونوار سعد، فجأة يا صديقتي، أحسست بأنه ليست هنالك أية جاذبية أنثوية تخصها، لا أعرف كيف أشرح ذلك، ولكنها لم تعد تلك التي جعلتني ذات يوم أذوب في حضنها مثل ثلج على سطح صفيح ساخن... ربما - السبب الوحيد أنه لم تعد هنالك مغامرة ومخاطرة أو تحد.. إن سهولة امتلاكها.. لا.. أنا لا أريد أن أفكر بتلك الطريقة ولكن ربما كان الشيء الذي دفعني للزواج منها إنها جميلة ومشتهاة، وأن كل رجل أعرفه يفضلها على عشرات النساء، وحتى المختار نفسه.. كان رحمة الله عليه لا يستطيع أن يخفي شبقا بنوار في كل حركة يقوم بها.. خاصة حركة أنامله. كنت ألاحظ ذلك أنا أعرف أشياء كثيرة.. وكنت كلما أحسست برغبة الآخرين بها.. سعيت نحو امتلاكها بقوة أكبر.. أنت تعلمين مقدار التضحية التي بذلتها في سبيل هذا الزواج... صراحة..

يا صديقتي القديسة الجميلة أنا سأكون واضحاً مع نفسي.. وشجاعاً.. وحأطلقها، إذا لم يكن اليوم فغداً، سأطلقها».

قرأت الخطاب للمرة المائة، وكلما ذكرته به طلب مني تمزيقه، أهدهه بأنني سأريه لنوار سعد ولكنه كان يصصر على القول أنه يحبها وسوف يحبها للأبد.

- كويس الكتبتو دا شنو؟!

- حالة جنون.. حالة.. ما عارف.. كتبت الكتبتو.. ما في داعي للابتزاز.. أرجوك مزقي الجواب..! أو أديني ليه.

الفصل صيف، والدومات الشاهقات أنضجت ثمارها البنية. المختار يحب ثمار الدوم. في مثل هذه الأيام يمارس رياضة تسلق الأشجار، حيث نجني ثمار تسلقه دوماً، دليلاً وبلحاً، في بعض الأحيان كوارثاً، قد يسقط من علو شاهق فجأة، أكثر من مرتين كسر يده اليمني، لكنه يكابد الألم في صبر إلى أن يشفي، ثم يتسلق الأشجار مرة أخرى، صليناً على روح المختار قرب النهر جميعاً: سارة حسن، أمين محمد أحمد، آدم، ما يكل كولي صديقنا الحبشي أخ سابا الأصغر برهاني، كل صلي وفقاً لما يعتقد، سَبَحَ ما يكل وأمين وعبرا النهر للصفة الأخرى، أصبح عبور النهر هوايتهما المفضلة منذ أن اكتشفا بيض السلاحف المدفون تحت الرمال على الشاطئ، بالذات بعد ما أعجبا بطعمه في طيخ الزقني الحبشي مع

الدجاج.

كما ينتفض الكلب، انتفض الكلب، جرى بعيداً على شميم
كلبة. سارة حسن أصبحت سمينة وقصيرة وأكثر سواداً. تشكل بريقٌ
غريبٌ بعينها. كان هذا جزءاً من حصاد السنوات السبع التي قضتها
في معتقلات متفرقة. ولكن سارة تضع في الحساب خسارات أخرى
كثيرة، أهمها تجربة الاغتصاب والحبس والإجهاض القسري
والأسوأ، يا صديقتي القديسة: ادعاء الحب.

التقطت أذن ما يكل كولي الجملة الأخيرة، كررها في سره بنشوة
خاصة. كان يجفف ملابسه على رمال الشاطئ النظيفة. أمين لم يسمع
شيئاً، طائر مالك الحزين، يقف على حافة مركب قديم على الشط
الآخر. خلفه تمتد جزيرة التماسيح؛ وفي البعيد جداً يُوجد كهف
مايا.

- ولكن الأسوأ يا مايكل هو أن الضمانة الوحيدة لسلام
الحكومة والحركة هي الولايات المتحدة الأمريكية، والضمانة
الوحيدة للولايات المتحدة الأمريكية مقابل التزامها بحراسة هذا
السلام هي موارد السودان البترولية.. بمعنى آخر: استبعاد الصين أو
فطمها.

قال مايكل في قرف

- أنا أكره الصينيين، أمقتهم.

ولكنه أضاف مُبتسماً:

-ولكن الأسوأ يا صديقتي القديسة هو ادعاء الحُب.

ألتقط مالك الحزين سمكة كبيرة، حَجَل بها بعيداً عن المركب
العجوز. مرت سحابةٌ داكنة تحت الشمس. رأي الجميع الكلب
وقد التصق بالكلبة وأعطى كل منهما مؤخرته للآخر.

- نعم ؟

في القرية : ابتسامة الرمل

«كان وجهُ السماءِ المورَّدُ

يُوقظُ واحةً إلى العاشقِ البدوي»

(غونار إكلف)

توقفت عربة نوار سعد التي يقودها أمين عند منزل قديم
مهجور في وسط تل من الرمال مشرف على النهر. تجمع
قليل من الأطفال ذوو البشرة الترايبية والملابس الغبشاء،
يلتفون حول العربة ويتفرسون الغرباء. جاءت امرأة عجوز
منسلة من شيخوخة المكان، تتوكأ عصا من الصفصاف.
فاجأتنا قائلة:

- سلام يا بت سعد.

ردتُ عليها:

- أهلاً أمي أم الخير.. كيف حالك؟

رغم مرور الأعوام الكثيرة تعرفتُ على وتعرفتُ عليها، عشرون عاماً منذ أن تم آخر لقاء بيننا، حدث ذلك عند ما توفي والدي سعد، وأتذكر أنها آخر من ودعنا أنا ونور، التي كانت تقيم مع أبيها وحدهما بالقرية.

- جيتي تشوفي البيت. ناس القرية كُلهم رحلوا.. كل الشباب والناس الفيهم فائدة، وخلونا نحن العجايز وشُوية أطفال.. لَمَّان يكبروا هم برضو حيمشو الخرطوم أو بلاد بره..

- وين الخير يا أمي؟

- ديل هم عيالو.. هو يعمل في الساقية.. وغير الخير ما في راجل في القرية كلها يقولوا عليه.. الخير وشاب شايبين وبس.. كلهم سافروا.

من على بعد عشرات الأمتار ظهرت ابتسامة الخير واضحة جلية وبدأت أسنانه البارزة للأمام قليلاً أكثر بروزاً وهي تعكس أشعة شمس الظهيرة الحارقة، ارتمى ومن غير تحفظ في حضن نوار سعد، وكأنه حبيب عائد من آلاف السنين، لفها بجلبابه الكبير ويديه الطويلتين، احتضنته نوار سعد بطفولية حميمة، بدا وكأنهما سيصيران شخصاً واحداً إذا استمرا في كذا عناق لثانية أخرى. هذا ما لا يعجبني في نوار سعد.. إنها تتعامل مع جميع الناس مباشرة دونما تمييز للنوع.. وأحسست حينها أنها بعيدة عني.. بعيدة جداً.. بل لا أعرفها.. ثم انتبه لي الخير ورمى بنفسه في حضني بنفس التلقائية

ووجدت نفسي أحتضنه.... حلف علينا بالطلاق مباشرة إذا لم نذهب معه إلى المنزل..قدمتنا نوار بمرح

- دا زوجي أمين محمد أحمد، أمين دا الخير.

سأل الخير مُندهشاً

- زوجك!!

قالت له نوار وهي تنظر إلى وكأنها تراني لأول مرة

- أيوا، أمين محمد أحمد زوجي.

قال وهو يمشي أمامنا في خطا واسعة نحو بيته

أهلاً.. أهلاً..... وسهلاً..

أمه التي يبدو أنها لم تسمع شيئاً من الحوار، كانت مشغولة بإعطاء الأوامر للأطفال بأن يحضروا ماءً للشرب بأسرع ما يمكن.

طفنا القرية خرابة خرابة، وطللاً طللاً، هنا كان دكان اليماني صالح، هنالك طاحونة المجنون دودا، شُوف.. شُوف.. الكوشة الجرحتني فيها قزازة، جرح لا أنساه أبداً، عند العالي، هيا نذهب إلى هنالك، عند تلك الربوة العالية كانت الأنادي، بقايا أغطية زجاجات البيرة والشري، عظام النيفة، البلاط الذي كانت توضع عليه البراميل، اللالوبة التي قتل فيها العوض ود جبريل، قتله سالم الجزار، هي اللالوبة ذاتها المات تحتها سالم الجزار في خريف

العمر، من هناك يبدأ السوق بعد الخور الصغير مباشرة خور الحلب ويمتد إلى قرب النهر حيث الموردة والمراكبية النازلين من الجنوب، أو الطالعين إلى دنقلا، في المكان ذا بالذات يا أمين كان يرقد أبوي الله يرحمه وهو سكران واقف ظمبرليلي وحوله كلابه وقربه نور ولا يجرؤ أحد على الاقتراب منه.. حتى أمي نفسها عليها رحمة الله.. كان الأطفال القلائل الغبش زوي الشفاه الجافة والأرجل الحافية المتشققة من سخونة الرمال وجفاف الجو وحرقان الشمس، يجرون خلفنا.. ويسألون.

- كم الساعة.. الساعة كم!!

بعض الكلاب العجفاء بين هنا وهناك تنبح في زعر وغضب، استطاعت نوار أن تميز أحد الكلاب، وتؤكد على أنه من سلالة كلاب والدها، وأيد ذلك الخير.

أمين... شايف الخراب دا.. كان في يوم من الأيام جنة..

ابتسمت، وكنت أعرفُ وهي أيضاً تعرف، أن تلك الجنة كانت نوار وأسرتها فيها مشردين ويفتك بهم الجوع ونصيبيهم منها مثل نصيب الطير، وهي نفسها قصت لنا ذلك فيما قبل.

أمين.. الأناذي دي كانت احتفالية شعبية مُدهشة..

الجروف.. المزارع النيل.. السوق.. عم محمد زين باع النيفة ود دينار، أوشيك، ود الكشيمبو بت كرار، حريرة أم جبرين، حواية

بت أم دقة، كرازية، بت جادين، ود النذير وحوش ود النذير ... عبد الله على الله، الرفاعي، طيارات، كبسون السماء.

هناك.. تتذكري.. جنب حلة الشراميط.. الله يرحمه ود النذير.

كان راجل شهم .

أمين.. حأحكي ليك في يوم ما عن ود النذير.. وكلبه العنده فك واحد.

كانت نوار سعد مثل طفلة صغيرة، استيقظت فجأة ووجدت اللعبة التي تحبها وتحلم بها سنوات من الطفولة المعذبة الطويلة ... كانت فرحة ومبتهجة وهي تقفز على الرمال والخيران وبقايا المنازل القديمة المهجورة الجميلة، وهي تسأل، تجيب، تبحث وتذكر، تتكلم بدون انقطاع، تربت على رؤوس الأطفال، تعطيهم بعض العملات النقدية، تقبض على يد الخير فجأة..

أمين.. أنا والخير دا لعبنا سوا.. دخلنا المدرسة في يوم واحد.. تتذكر ياخير... مدرسة الجبورات المبنية من الكرانك.

في تلك الليلة التي قضيناها في منزل الخير، أعطتني نوار سعد نفسها بعمق وحب لم تفعله من قبل ولا من بعد. فيما بعد عرفت أنها ما كانت تهب نفسها لي أنا بالذات. ولكن كان ذاك هو الخير، كانت ترقد معي وتقبلني وتهبني الحياة واللذة العظيمة والألم والحب، جسدي أنا: روح الخير، وربما كان العكس صحيحاً أيضاً، روعي

أنا وجسد الخير.

قالت لي ذات يوم وهي مخمورة.

الليلة التي قضيتها مع الخير في القرية كانت أسعد لحظات حياتي.

ذبح لنا الخير عند الفجر حملاً سميناً، أكلته النسوة الجيران معنا،
تجمع بعض الشيوخ والأطفال تحت الراكوبة الكبيرة، وأخذوا
يعيدون شريط الذكريات ويحكون عن أبنائهم المغربين
وأصدقائهم الذين عبروا للحياة الأخرى، عن القرية التي أصبحت
خرابة كبيرة.. حتى النيل لم يعد كما هو.. ودَّعَتْ أهل القرية،
وعدهم بأنني سأزورهم كل عام، وعدهم أمين أيضاً بذلك، قد
أحب الجميع، ولو أنهم سخروا قليلاً مني لأنني، تزوجت «شافع»
صغير، قالت لي امرأة عجوز في مكر، وكانت تعرف كما عرفت
القرية كلها في اللحظات الأولى لقدومنا أن أمين هو زوجي.

الود دا راجلك ولا سواق؟

راجلي يا أمي.

مُش كان أخير ليكي تعرسي الخير يا بتي؟!

ضحكت زوجة الخير زينب الصغيرة وأكدت أنها ترحب
بالفكرة فقط على أن أطلق أمين، والشرط الآخر أن تذهب هي
وعيالها والزوجة الأخرى زينب الكبيرة وعيالها أيضاً معنا إلى
السكن في الخرطوم في صحبة الخير.. ضحك الجميع ولكنني

فهمت الدرس.

أنا والخير نحتسي الشاي في ديوانه الكبير بعد أن غادر الذين جاؤوا للتحية والتفرس في زوج نوار سعد الصغير، الذي هو أنا، كان يحكي لي حكايات جميلة عن المكان والناس والحيوانات، حميره، كلابه ونسائه. وقال لي بصورة واضحة وبلذة غريبة، إنه زوج لنساء كثيرات بالحلة وبالقرى القريبة، وعندما سألته ما إذا كان ذلك تحت مظلة شرع الله ورسوله، قال

مُس بعيد شديد عن شرع الله ورسوله،..... يعني.

قلت له إنني لا أفهم، قال وهو يصب لي مزيدا من الشاي

البلد دي كُلها نساوين، وأنا الراجل الوحيد يعني أعمل شنو؟

قلت له ضاحكاً، مُدعياً أنني فهمت

الضرورات تبيح المحظورات.

قال وكأنه لم يفهم ما أرمي إليه أو أنه يريد أن يقول شيئاً آخر لم أفهمه أنا، أو ربما يريد أن يضللني

الزواج سُنة.

ثم سألني سؤالاً مباغتاً

ليه ما تتزوج مرا تانية، انت لسع صغير وبإمكانك تتزوج،
والبنات كثيرات.

قلت له مراوفا

ربنا سهل.

فصب لي كوبا من الشاي آخر في ذات الكوب الذي فرغت من
شربه للتو، قائلاً

أنا حاجي الخرطوم.

أخذ الخير عنواننا في الخرطوم وقال: عندما ينزل للخرطوم
سيمر علينا أولاً، ثم إلى بيت أخيه حمد مدير الضرائب .

كانت نوار سعد تغط في نوم عميق طوال الرحلة، منذ أن اتخذنا
طريق الأسفلت العام ولم تستيقظ إلا عند مشارف الخرطوم، حيث
تولت هي القيادة ونمت أنا وحلمت بالمختار ومايا العزيز يجلسان
تحت شجرة عرديب ضخمة في الجنة وهما يلعبان الشطرنج بقطع
مصنوعة من الزجاج الشفاف، قال مايا العزيز لي، وهو يحرك قطعة
كبيرة في حجم إنسان طبيعي:

كش ملك.

استيقظت على شجار عادة ما يجري بين نوار سعد وعسكر نقاط
التفتيش. نمت مرة أخرى. حلمت بالخير يرادني عن نفسي، استيقظت
على شجار نادراً ما تلجأ إليه نوار سعد مع رجال شرطة المرور.

في القرية : نحو العاشق البدوي

غادرنا جميعاً إلى المدينة في يوم السبت، حيث تبدأ فترة عملي من السبت إلى الثلاثاء بالمستشفى الحكومي، تركنا في المحراب مايكل، حيث كان يستعد للجلوس لشهادة التوتفل ويحتاج إلى مكان هادئ للاستذكار والمراجعة، وسوف يقوم بحراسة المحراب من مخافات لاندريها. اتفقنا على ترتيب مسالة الزواج بيني وما يكل أكل بعد أن ينال شهادة التوتفل حيث تتاح له فرصة جيدة في العمل مع منظمة أمريكية، كان قد اجتاز جميع معايناتها وتبقي له شرط هذا الشهادة. وجدت المستشفى كما كنت أجدها دائماً مكتظة بالمرضى مكتظة بمراقبيهم، مكتظة بالمرضى والأطباء ورائحة البنسلين والديتول، الملاريا، البعوض، والذباب، مكتظة بالأوساخ؛ مكدسة عند الأركان. حاويات الأدوية الفارغة الزجاجية والبلاستيكية، الحقن القديمة الدربات الفارغة وعليها، بقايا المحاليل والدماء الباردة، بقايا الأطعمة على أكياس البلاستيك أو في العراء

تتدافع عليها القطط السمينة. الذبابات والكلاب الضالة، الموتى يخرجون من المستشفى وقد حمدوا الله على الراحة الأبدية، المرضى الذين منّ الله عليهم بالخروج سالمين. في الحوائط إعلانات دائمة لفنانين سوف يقيمون حفلاتا بهيجة بأسعار زهيدة على كازينو النيل الأزرق احتفاء بالسنة الميلادية، بقايا مخرجات بشرية هنا وهناك..

دقيقة يا دكتورة سهير.

قفزت على قطعة صغيرة تعبت بحاوية بلاستيكية استخدمت لنقل دم لمريض، بها بقايا الدم شاهدة على ذلك.

دقيقة يا دكتورة سهير.

أهلاً.

أنا أبو حازم.. صحفي بجريدة الخرطوم وعازز أعمل تحقيقاً صحفياً عن المستشفى.. لو سمحت عايزك تجاوبي لي على بعض الأسئلة وكنت في انتظارك منذ الساعة السابعة صباحاً... ومعني المصور جمال زكريا.. تسمحي نأخذ صورة مع بعض.....!

لا، بالتأكيد.. إذا كانت عندكم أسئلة أسألوها لإدارة المستشفى، أنا طبية فحسب..

معلش، سألنا إدارة المستشفى وسألنا الأطباء فبقيت أنت فقط.

أنا سوف لا أجاب على أية سؤال بالرغم من أنني لا أعرف ما هي أسئلتكم.. انظروا يمينا ويساراً وتحركم، ثم اسألوا أنفسكم وجابوا على أنفسكم وخذوا صورة تذكارية مع الكدايس.

وذهبت، اعتبرت أن هذه بداية غير مشجعة ليوم عمل صعب، يحتاج عادة لروح معنوية عالية، استلمت ورديتي من زميلة بدت مرهقة وحزينة. تبادلنا جملاً قصيرة معتادة، ذهبت.

اثنان من طلاب كلية الطب، يسألون ويكتبون في هدوء وأدب، بنت وولد، سألتني البنت سؤالاً مفاجئاً.

الناس ديل عايزين يبيعوا المستشفى؟

ياتو مستشفى؟

المستشفى دي النحنا فيها الآن...

لمنو..؟

لشركة أجنبية..

تعمل بيها شنو.. هل ستصدر المرضى للخارج والضبان والبعوض والمalaria؟

آسف يا دكتورة.. سمعت الناس يقولوا كذا.

والله لا علم لي بشيء..

قام المرضى أمس الجمعة بمظاهرة لمان سمعوا الخبر..

ما سمعت بالموضوع دا، كنت في الغابة..

ياتو غابة...؟

مكان بعيد أسكن فيه ويسمي الغابة.. لا عليك..

حيدخل الأطباء في إضراب عن العمل بداية من يوم الخميس
القادم...

كويس.. من وين بتجيب المعلومات دي يا دكتورة؟

كل الناس هنا بيعرفوا.. والصحافة والشارع ووووو.

الآن فهمت..

تخشى إضراباً مع الدكاترة؟

لأول مرة انظر إلى وجهها بتمعن وعناية، كانت صغيرة لها وجه
طفولي مستطيل وعينان جميلتان ومتسعتان، شفة سفلى أطول قليلاً
من العليا، سمينة، على وجهها شبه ابتسامة دائمة، كان الطالب
يمشي خلفها في صمت ويبدو مشغولاً بكتابة بعض الملحوظات..
سألها..

أنت طبيبة ولا صحفية..؟!

قالت في خجل

متأسفة يا دكتورة.

قلت في نفسي، هل هنالك شخص في هذه الدنيا يشتري كوشة على مقابر قديمة؟!

نهضت في ذهني الكُوشة الكبيرة في قريننا، التي تقع خلف السلخانة، ما وراء المقابر، ليس بعيد عن شاطئ النهر، نطلق عليها ونحن صغاراً «كُوشه حريقاً»، لها رائحة الجيفة، رائحة الجلد المشوي، رائحة الموت، ترعى فيها طيور الأبو خريطة العملاقة، وليس بعيد تقف حاوية الماء والوابور عليه عم توتو بصورة دائمة ونهاية، وكأنهما خلقتا معاً بل من مادة واحدة؛ صورة لا تأتي إلا متكاملة. في المحراب أفهمني سارة كل شيء. وأكدت لي أن الأمر تم فعلاً وسوف يعلن رسمياً في الإذاعة والتلفزيون والجرائد كأهم حدث طبي في البلاد الكبيرة، شركة ماليزية سوف تقوم بتأهيل المستشفى وفقاً للمواصفات العالمية هكذا وافتنا الجرائد بالنبأ ونحن في طريقنا إلى قرية الفزراء من مدينة القصارف ثم غادرنا الأسفلت على أرض صلبة سوداء. سافرنا جنوباً، ثم جنوب شرق، عبر غابات الهشاب والطلح واللالوب الخضراء ومزارع الذرة والسمسم التي تُدخل في النفس عالماً من المرح والطفولة. سافرنا نحو الجنوب الشرقي، سافرنا سفيراً حلواً ممتعاً، غنياً، قرأنا شعراً، تناكتنا، تحاكينا، توقفنا عند بركة ماء حولها بجعات بيضاوات، بعض الأوز، طار كل شيء بمجرد أن توقفت العربّة، حطت بعض الطيور بعيداً تراقبنا عن كثب، اقتربت بعض النعاج

الخجولة، الأرض تحتنا لينة خضراء باردة ورحمة، جلسنا تحت ظل شجرة جوغان ضخمة، فرشنا على أوراقها وبقايا ثمارها القديمة الكبيرة فرشة من البلاستيك، أطيّار الكُلج كُلج تصدر ضجيجاً حلواً، قطان بريان يمران أمامنا في سرعة البرق ويختفيان بين أعشاب الخريف، آدم وسارة تمشيان في عمق الغابة الصغيرة، أما ما يكل، برهاني، سابا وطفلتها الصغيرة نوار كنا نتحدث في وقت واحد، نوار سعد وأمين، لكن كانت لمايكل ملاحظات جيدة حول فكرة موت مايا العزيز.

- مات مقتول.

وجمنا جميعاً في انتظار حيثيات الفكرة. جمع ما يكل قدراً كبيراً من الطين الأحمر من حافة بركة المياه، صنع جبلاً صغيراً، زينه بارياش الأوز وما تساقط من ريش البجعات ومالك الحزين، خلط الطين والريش مع أوراق الأشجار المتعفنة من فعل الماء والرطوبة، جرت نوار الصغيرة نحو جبل مايكل الصغير، سعدت عليه بصعوبة، ابتسمت لنا جميعاً في براءة وهي تنزل بولاً أخذ لون الطين وهو يتدحرج من الجبل الصغير، صفق لها الجميع، خطفتها والدتها وجرت بها بعيداً، كانت نوار تحتج، معبرة عن ذلك بالرفس والصراخ، لا تود أن تبرح جبل مايكل..

- ليس لديّ فكرة بعينها، كنت أحاول أن أرتب أفكارٍ حول مقتل مايا زوكوف فلاديمر العزيز ولكنني أحاول أن أصنع من كومة

الطين امرأة هي في الحقيقة ليست سوى سهير حسان: القديسة ذاتها، كانت تعرف ذلك، ويعرف الجميع أنني أصنع القديسة ولو أنني لم أشكل غير الفخزين الكبيرين كاملين وجزء من الصدر، في الحق، خجلت من نفسي لأنني عريتها، عريت نفسي وبدأت واضحاً، أكثر مما يجب، وقد استجابت سهير لذلك بعد ثلاثين يوماً حيث إنها جعلتني التصق بما نحت من الطين، بلحم إنساني حي طازج وبهيج، وهذا هو الدرس الذي لم نتعلمه في كلية الفنون أن الفن طوطم الطواطم.

إنه يريد أن يقول لي شيئاً فاضحاً جداً، خاصاً جداً، قريباً جداً ولا معني له غير ما يعرفه هو وحده، ولكنه أذاعه للعامة هم أصحابنا، ولكن هنالك تفاصيل صغيرة تظل محجوبة عن الأصدقاء أيضاً، لذا أعلنت أنا أيضاً لهم.

أنا ومايكل كولي حنتزوج عند ما يتحصل على شهادة التوفل في أغسطس الجاي..

قالت سابا ضاحكة :

- قولي عندما يَسْلِمَ.

قلت لها في إصرار:

- عندما يتحصل على التوفل وبس.

قالت بذات القدر من المرح المعروف عنها

- ومنو حيخليكم تتزوجوا.. هو مسيحي وأنت مسلمة لو كان العكس ممكن؟

قلت لها، وكأنني كنت مواجهة بهذا السؤال منذ سنوات مضت.
- لا أحد.

- ولكن زواجك.. سيكون باطل.

قلت لها بثقة؛ إنَّ في هذه الأيام، في البلاد الكبيرة لا تستطيع الحكومة الوقوف ضد أية زيجة ولا ضد أية سلوك.. الحكومة ستفكر فيما يطيل عمرها فقط ... الآن الوطن أصبح مفتوحاً للعالم، المنظمات الدولية التي ترعى حقوق الإنسان، أمريكا، أوروبا الموحدة... النموذج العراقي وأفغانستان.. اتفاقية السلام كل ذلك سوف يحمي زواجنا، كما أننا لا نحتاج التصديق من شخص آخر، فالزواج مسألة شخصية.

حتى أبوك...؟!!

وضحت لها أنَّ أبي وأسرتي سيتعامل معهم ما يكل بالصورة التي يراها مناسبة ... ربما أسلم وتشهد تماشياً مع فقه الضرورة.. وقد نهاجر، وقد يصلي لأجلهم قال: إنه لا يمتلك أبقارا ولا ذهباً يعطيه لهم.. فسألته: لماذا لا يفعل الشيء نفسه مع الحكومة !!

الحكومة لا.

قال ما بكل

أنا عايز أتزوج مرا من الحكومة !!

قالت سارة لآدم، وقد ظهرا من بعيد يقبضان على أكف بعضهما البعض في حب وحميمية .

لا يؤمن الإنسان بالله إذا لم ير مثل هذا المكان.

قالت سارة

عشان كده الخرطوم ملانة بالكفار.

ضحكاً ضحكاً عالياً.

وصلنا القرية عند العصر، بعد عشرين عاماً من الوعود التي لم تتحقق لمحمد آدم، كنت أترقب خروجه من قُطية ما، من راكوبة ما، أو من أية حجرة من وقت لآخر يلبس جلبابه القروي، على ظهر حمار أو يجري خلف مرفعين صغير أتى به أبوه من رحلة صيد متعبة طالما لم نلتق في الطريق إلى القرية، طالما لم يستقبلنا عند مداخلها، طالما لم يهتف مرحباً بنا ونحن ندخل الحوش الكبير الذي حدثني عنه كثيراً كثيراً ... طالما..

قالت لي أمه.

- كنت دائماً أتوقع زيارتك للقرية.. كل سنة. كل سنة.. سبحان الله.. دي عشرين سنة مضت من اليوم المات فيه محمد آدم.. أنا

كأنني أشوفو الآن... لم يكبر محمد أبداً، دائماً صغير ونشيط ويتكلم ويحكي ويركب الحمير ويمشي العيد مع الكبار وكل مرة يفشل في صيد مرفعين صغير لك... «تبسم»..

كل مرة أقول أجيك، ربنا ما يطلق القدم، ومرت بي ظروف كثيرة منذ أن توفي محمد آدم، أبداً ما استقرت على وضع محدد، دراسة، سفر، مشاكل أسرية لا ليها أول ولا آخر.

وعايزة أوريك بالمناسبة دي.. طبعاً أنا حضرت زواجك، كان بعد سنة من وفاة المرحوم.

افترقنا.. طلقني واتزوج والآن عنده ولد وبنت... ولكن بعدما شوفني الويل ونجوم النهار... قالت متأثرة.

المرحوم دائماً كان يقول لي... دائماً كان.. ولكن قدر الله وما شاء فعل..

ثم صمتت على صوت أطفال يلهمون في الخارج ويقتربون من المنزل

محمد آدم.. يا ولد يا محمد... تعال.. هنا في ضيوف.. تعال سلم عليهم.. كان هو نفسه، فقط ازداد طولاً بعض الشيء وربما صار أكثر نحافة، والجرح القديم الذي في وجهه اختفي تماماً ولا أثر له، كان حافياً ويرتدي جلباباً به بقع من الطين الأحمر ناشفة،

شعره كثر، في وجهه عِينان مرتابتان كعيني خروف شبع.

دي عمتك سهير حسان..

- دا عمك آدم زكريا.

- دي خالتك سارة .

- دا عمك.

- ما يكل كولي.

آه.. عمك مايكل. وزى ما شايف هو من الجنوب.

دي خالتك .

خالتك سابا.

وبنتها الصغيرة الحلوة دي حنخطبها لك من اليوم.. رأيك سُنو..

اسمها منو؟!

اسمها نوار .

نوار الطلح ولا الهشاب ولا السيلىك؟ نوار سُنو؟

ضحكننا معا، ولكن أنقذتنا الجدة بالرد

أنت شايفها نوار سُنو؟

قال دون تردد

- نُوار السيّال .

كثيرون منا ما كانوا يعرفون السيال، وإذا عرفوه ربما لم ينتبهوا إلى نواره وإذا انتبهوا إلى نواره، مثلي فإنهم لا يعرفون تلك الرائحة العطرة التي تفوح منه وذلك الطعم الجميل ... شرحت لنا جدته كيف كان يرى جمال نوار.

قالت له .

خالك المرحوم محمد آدم، الأنث مسمى عليه كان يسكن مع ناس سهير في البيت الله يرحمه ..

وأنا برضو عايز أمش اسكن معاهم في المدينة وعايز اقرأ هناك ..

قالت له الجدة ...

إن شاء الله عندما تدخل الجامعة حتسكن معاهم في الخرطوم .

كانت الجدة في غاية السرور وهي تسحب الشنطة التي تخص محمد آدم من تحت سرير المخرطة العجوز الذي تجلس عليه هي الآن، وهي تحدثنا عنه، كان طفلاً عاش طفولته بصورة متكاملة دون نقصان، وكان يملأ المنزل كله بالحياة والحركة والنشاط، يفعل كل شيء، بدءاً بصيد الأسماك والقنص، نهايةً بحلب الماشية وصنع الروب والعصيدة، وكأنه يعرف كل صغيرة وكبيرة قي القرية.. سبحانه الله، يا بتي، سهير.. كان محمد آدم يعرف تماماً انو

حيموت قريب ... قال لأخته الكبيرة الكلام دا.

تحتوي الشنطة، كما شارك الجميع في حصر محتوياتها على الآتي:

- ٢٠ كراسة صغيرة منها ١٠ كراسة رياضيات .

- ١٠ كراسات كُتب في غلافها كراسة خارجية.

- ١ كراسة مدونة المصاريف.

- ١٠ كتب مدرسية قديمة أغلفتها ممزقة.

- حذاء واحد بحالة جيدة.

- جلاباب أتلفته لعنة الانتظار الطويل.

أزرار من مختلف الأحجام والأشكال والألوان. وهي الهواية التي ماكنت أعرفها عنه، قالت ليّ

خذيها معك وإذا فرغت منها.. أعيديها لنا في أي وقت.. إن شاء الله بعد سنة.

تم صنع قفص صفيّر متين بواسطة نجار القرية أدخل فيه المرفعين الصغيرين اللذين تم صيدهما لنا خصيصا، قال لي محمد آدم..

- عندما أدخل الجامعة حاسن معاكم في المدينة.

- ما حترجع من وعدك؟

قال..

إذا أم نوار ما رجعت من كلامها..

قالت سابا وهي تقبل ابتها الجميلة في خدها..

أنا ما حارجع من كلمتي.. ولكن طبعا بعد استشارة نوار لمان
تكبر.

في المدينة : تمارينُ نيفاشاً

بدأت المظاهرة بطبيب واحد وفراشة ومتسول عند الباب مرّ صدفة ومريض وسبعة من المرافقين الرجال ومرافقة واحدة امرأة وهتاف ...

«لا لن نبيع».

وكانما كان الشرطيون يختبئون في المجاري وتشققات الأرض أو صفق الشجر وثنيا العُشب، ظهر المئات منهم مدججين بالدروع والسلاح، خلفهم عربية المطافئ، هتف كبيرهم بالمكرفون..

- المطلوب من الجميع العودة إلى أماكن عملهم..

وكرر ذلك مرارا.

سقط المريض مغشيا عليه، عاد المرافقون لرعاية ذويهم حمد المتسول الله على كل حال وجلس على الأرض ليسأل مع السائلين عن حق الله..

قالت الفراشة للطبيب..

- معليش..

ومضى الطبيب وحده يهتف

- لا.. لن.. أبيع..

مشى في شارع القصر، المواطنون على جانبي الطريق يتفرجون على الطبيب، خلفه آلاف مؤلفة من الشرطة .

- لا.. لن أبيع..

حاول الشرطيون الاقتراب منه وإنهاء الأزمة إلا أن ضابطاً وسيماً صاح فيهم قائلاً.

- البلد حرة.. حرية التظاهر حرة مكفولة للجميع.. في النهاية رجل واحد لا ينفع ولا يضر..

ثم أضاف بينه وبين نفسه: بقية الشعب كله قابل وحامد وشاكر.

كان الناس ينظرون إلى الأمر في ريبة وبين فينة وأخرى يتوقعون حدوث شيء، ضاقت جوانب الطريق بالمارّة، إلى أن أخذوا يضغطون على الشرطيين، الجميع يريدون ألا تفوتهم لحظة حاسمة قد تقع الآن سيكونون كشاهدي عيان على مظاهرة الرجل الواحد..

- لا لن أبيع..

كان يمضي مسرعاً للأمام في ثقة مفرطة ودون تردد، لا يعرف أحد الشيء الذي يجبرونه على بيعه، لا يعرف الناس إلى أين هو

زاهب، حتى الأطباء أصدقاؤه، وردة حبيته، والمرضى والمرافقون جاؤوا ليرى ما سيحدث لرفيقهم، الناس قريبو عهد بعصر القمع والحسم والضرب والاختفاء النهائي والمفاجئ ولا أحد يصدق أن السلام يعني فيما يعني السلام، وأنه قد يعني أيضا إطلاق الحريات.

وعند ما وصلت الإشاعة إلى العطالة والمتسكعين في السوق العربي والسماصرة وبائعي الكتب المستعملة، وكمال وداعة وجرحى الحرب والركاب الذاهبين إلى هامش المدينة، والسوق الشعبي والمتقنين الذين في طريقهم إلى متدى الاثنين والبشير الريح وسائقي الحافلات والشحاذين والسكراري والمصلين الذين خرجوا من الجامع الكبير بعد أداء صلاة الظهر، وبائعي الملابس المستخدمة والصابون والمفروشات، عبد الله الدنقلأوي، وليد إسماعيل حسن وحكيم بالسلطان الشامي، وغيرهم، حتى هبوا معا في لحظة واحدة وهجموا هجمة رجل واحد على سوق الذهب والملبوسات الصينية الرخيصة الجاهزة، الساعات المزيفة والبنوك والمغالق الضخمة وبعد معارك صغيرة وكبيرة هنا وهناك كان السُّوق العربي قد غرق في فوضى نهائية، ثم انتقلت العدوى إلى أمدرمان المحطة الوسطى عن طريق رسائل موبتل القصيرة ووسائط سوداتل والمساعدة والسواقين وهجم الناس على السوق هجوما عنيفا فكسروا وسرقوا وأكلوا وضربوا وشربوا وقفلوا ونشلوا وقلعوا وأخذوا وأصبح البعض مليونيرا في لحظات،

وأفرغت معروضات الذهب من مصوغاتها والصيدليات من الأدوية والدكاكين من، .. ثم انتقلت أخبار الفوضى إلى بحري.. إلى عطبرة.. إلى كوستي.. إلى سنكات.. إلى كسلا، بورتو سودان، جوبا، ياي، القديلة، الفاشر، النهود ثم خشم القربة، عندلة، للرصرص، سنار ود مدني.. ثم لدهشة الجميع: أن سمعوا المارشات من الإذاعات التي أوقفت برامجها العادية وأعلن المذيع.

بيان هام فترقبوه..

أوقف التلفزيون برامجه العادية وظهر مذيع مرتبك أعلن للجميع

بيان هام فترقبوه..

استمع الناس في صمت ورعب إلى الموسيقى العسكرية تنشد مارشات على دينار ومارشات إنجليزية بصورة متواصلة.

وكانت الفاجعة الكبرى عندما تحركت قوات المعارضة التي وفقاً للاتفاق أن تبقى في الخرطوم لتقوم بهمام الأمن وان تثني الحكومة عن النكوص عن معاهداتها، وأن تهدي كل من تسول إليه نفسه، بالخيانة إلى الصراط المستقيم، واتجهت نحو القيادة العامة ثلاث كتائب مدرعة وكتيبة مرابطة قرب الإذاعة بأمدردمان اتجهت نحو الإذاعة، وفي ساعة واحدة كانت كل معسكرات الجيش بالخرطوم وأمدردمان تخلو من الجنود الأحياء والشوارع تخلو من

المارة والجثث تحتل فضاء المكان، ومن خلال إذاعة خارجية متنقلة قرأ أحدهم البيان الركيك التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

المواطنون الكرام، لقد استطعنا بعون الله الانتصار على مجموعة من أعداء الشعب المرتدين عن الإسلام الذين حاولوا الاستيلاء على السلطة عنوة، الذين تخيفهم الحرية والديمقراطية ويرعبهم السلام، المطلوب من المواطنين التزام منازلهم وعلى الجنود الالتزام بشكناهم وسوف نوافيكم،

وتكرر هذا الإعلان بصورة مستمرة وكل مرة تحسن صياغته ولكن ظل المعنى واحداً والمذيع المرتبك مرتبكاً، والمواطنون الكرام يخمنون ما حدث ولا أحد يعرف الحقيقة، والبعض وضع الأمل في إذاعة لندن وفصائيات العالم الأخرى التي ما تزال.

كانت الشاحنات العسكرية تعبر الطريق السريع ماضية نحو الخرطوم، تبدو واضحة من على البعد، كنا ننظر إليها ونحن على أفرع أشجار السيال من المحراب، كانت ثقيلة ومسرعة مخيفة وغامضة، لا توجد عربية مدنية واحدة تذهب نحو العاصمة.

في اليوم الثالث ظهر الانقلابيون على شاشات التلفزيون العالمية

والمحلية، مطأطئ الرؤوس زائغي الأبصار، لهم شفاه ناشفة غبشاء
وآذان منتصبه كآذان كلاب الصيد، أسنان بارزة للأمام ليس قليلاً،
كانوا معروفين لدى الشارع، بالاسم والصورة والأفعال والهيئة
والسيرة، بصورة جيدة : أنهم الانقلابيون القدامى أنفسهم.

ذهبنا جميعاً إلى المدينة نتفقد مواقع عملنا وأصدقائنا، كانت نوار
سعد وأمين محمد أحمد خارج المنزل، اتصلنا بهما كمحاولة أخيرة
ولكن ما تزال شبكة الموبايل لا تعمل أخذنا نتمشى في الشوارع
الفارغة.

كتابات : رسائل إلكترونية

نوار سوف أكتب إليك لا أدري لماذا، هل لأنني لا أستطيع أن أقول لك الشيء قولاً؟! أو أن الشيء لا يمكن أن يقال.

قضيت هذا الشهر بعيداً عنك لا أدري متى تسمح لنا الجامعة بالعودة إلى الخرطوم، الآن أدرّس مادة الشعر الإنجليزي للطلاب بالكلية، والطلاب كالعادة لا يفهمون إلا من رحم ربه، مصابون بالكسل الذهني ولا يقرؤون إطلاقاً، يأخذون معلوماتهم من المنتديات والونسات والنقاش العام بالأنشطة وقد يحفظون خطباً بكاملها من أركان النقاش، لدي تلميذان أُنَبِّأُ لهما بغدٍ مشرق في الحياة، أحدهما من أقصى الشمال اسمه صلاح الشايقي والآخر من الشرق اسمه صالح سعد. لدي تلميذة أيضاً تهتم ولكن بقدر أقل وهي من الأبيض تسكن في داخلية بالخرطوم، هذه التلميذة تذكرني بك كثيراً، هي فقيرة جداً وعفيفة جداً وجميلة جداً وذكية جداً وطويلة جداً وتكتب

القصص القصيرة وقد حضرت لك عدة محاضرات عن التشكيل في كُوش، سنقضي هذين الشهرين هنا نسجل ملاحظات عن لغة العساكر وهو بحث اللغويات المقرر في هذا العام للطلاب وقد كلفت بالإشراف على خمسة من الطلاب... لم أكتب شيئاً من الشعر يذكر.. فقط هذا المقطع :

ها هو الشتاء يا حبيبي.

يزهر مرة أخرى.

وها هي النعاج الخجولة تقضم الورود المرتعشة.

وأنا وحدي .

أحاول حشوك بالموكب والذكريات.

مثل نعجة خجولة.

الخوف.

قابع على عتبة بيتنا الصغير: يقرصه البرد.

وقد أرسلتها من قبل عبر بريدك الإلكتروني، أقصد بالأمس القريب، كتبها في الأصل باللغة الإنجليزية وقمت بترجمتها إلى

العربية وقد أعجب بها صديقنا الأديب لولي ينج وهو قد يترك السودان ويسافر نهائيا إلى جنوب إفريقيا لم تستمله ما لاحت بوادره من سلام وقال: إن السلام سوف لا يغير شيئا وسوف يكرس لما سبق بصورة أسوأ من الماضي لأنه سلام فوقى وهي عكس أفكار مايكل حبيب القديسة سهير فهو يؤكد على أن أمريكا طالما كانت موجودة ومسيطرة على العالم بمن فيه ومن فيه، فإن حكومة البلاد الكبيرة ستحترم مواطنيها وتعاملهم كبشر، ولو على مضض، إلى أن تحل طالبان محل أمريكا حينها فقط ساهرب ولكن للغابة أو إلى سيارا مايسترا، وليس لمكان آخر.

أنت تعرفين رأي أمني سعاد عنك، لم يكن ذلك الرأي مزعجا في الماضي ولكنه الآن على ما اعتقد يجب أن نأخذه مأخذ الجد... سوف نتحدث عن ذلك لاحقاً.. لا بأس.. (SEND)

«العزيزة سابا تخلي»

كيف حال نوار الصغيرة، اشتقت لهما كثيراً لم تحدثني عن رحلتك إلى قرية محمد آدم المرحوم ولكنني عرفت بعض التفاصيل من مايكل وأنت تعرفين أنه لا يتحدث كثيراً، هل عاد زوجك من ماليزيا... أم ما يزال هنالك...، إنه يسافر كثيراً إلى هنالك. تحياتي، تسأل عنه نوار سعد أيضاً، لأنها تريد أن تغير عربتها بعربة لاندكروز.

(SEND)

«صديقتنا دوشكا تدودروف»

بعد أن عدت أنا من روسيا كان من أهم أهداف المرحلة عندي أن أعد لك زيارة إلى البلاد أنت وناشأ وقوني، وقد تمت الترتيبات على أكمل وجه والأصدقاء مستعدون لكي يتبعوا معك آثار مايا العزيز وتبنت كلية الفنون الجميلة ذلك بنفسها وستكون الرحلات إلى المدن التي عاش فيها مايا وتلك التي بقي فيها قليلا وتلك التي عبرها عبوراً وحتى تلك التي كان يتحدث عنها وينوي زيارتها كل ذلك سيكون في المتناول، كما قامت الجامعة بتوزيع دعوات كثيرة إلى بعض الذين كانت لديهم علاقات بمايا في البلاد الكبيرة وبعد ذلك ستقيم الجامعة احتفالاً شبيهاً بالاحتفالات التي كان يقيمها مايا العزيز في منزله... أما المنزل فبنته نوار سعد وزوجها أمين محمد احمد وسابا تخلي التي قد أصبحت من ذوات رؤوس الأموال بعد أن تزوجت رجلاً تجارياً سياسياً له أرصدة لا حصر لها في بنوك العالم... وستعرفني الحكاية عند ما تحضري إلى البلاد

الكبيرة... سيتولى هؤلاء صيانة المنزل وإعادته إلى هيأته الأولى تماماً كما تركه مايا زوكوف فلادمير في رحيله الأول من البلاد الكبيرة.

بالرغم من التشوه الذي أصاب الكهوف والتخريب الذي طالها في عهد ظلمات الحكم، إلا أن هنالك محاولات جادة يقودها نحاتون ورسامون شباب على رأسهم المعتوهان كمال ذكريا ونادر جني وما يسمونه بحاتم فان جوخ، تيسير عبد القادر وبت حسبو، وعشرين آخرين، قامت بتمويل المشروع منظمة اليونسكو.

ستحضر الاحتفال أسرة مداح المداح من سوريا وأسرة شيخ أمام من مصر، أمل الطاهر من العراق، خوان بيدرو من إسبانيا... والنور عثمان أبكر من دبي تتوقع قدومك بعد يومين من موسكو الرجاء الرد بأسرع ما يمكن».

كتابة : مخلوقات لذيذة

الكراسة التي كُتِبَ على غلافها خصوصيات كانت كلها عني، ولأنها عبارة عن خواطر طالب ثانوي في أوج مرحلة مراهقته، إلا أنها كانت عميقة وتمثل لي كنزاً ثميناً من الذكريات، بالأحرى هي مرآة لجانب من طفولتي لا يعرفه غير محمد آدم وأنا.

« البنات مخلوقات غريبة... غريبة جداً لا يمكن فهمها بسهولة، أنا عارف أن سهير تحبني بحق وحقيقة ولكن عندما أتحدث معها عن العرس تزعل وتهدد بأنها حتكلم لي أمها... ولكن سهير نفسها لما ترقد معاي في السرير تمسكني بقوة وتتمنى أنو أمها ما تجي البيت نهائياً...».

وفي مكان آخر

« وأنا لاحظت أن والدها كان ينظر إلينا دائماً وكان لا يتركنا نبتعد عنهم، أمها عكس أبوها، كانت ترسلنا معاً لأماكن بعيدة ونحن نرحب بالفكرة وننطلق بسرعة، ما أعتقد أمها كانت عندها مواضيع عايزة تناقشها مع العم

حسان ويوم العيد يوم لا ينسى، ذهبنا إلى البحر وما كان عميق ويمكن المشي في داخل الماء لأكثر من عشرين مترا وكنت وسهير نعوم في تلك المساحة أنا أجيد السباحة هي لا تعرف، كنت أعلمها كيف تسبح، تدق على الماء بكفتها وتدفع الموية بأرجلها للخلف في عشوائية وبين وقت وآخر تبتلع جرعة كبيرة من الماء خطأ فتقف فجأة على رجلينا تكح، وهذا أكثر شيء يعجبني كانت يهدومها تلتصق على جسدها، شعرها المبلل يلتصق على وجهها وكفها وفي اللحظة دي تشبه الجنيات والهوريات ولولا كنت خائفا من أن يجيء العم حسان والعمة فجأة.

وقد جاء، ولكن وجدني أعلمها العوم وهي ترقد على ذراعي

كرر العم حسان بمرح غير معهود

- دي لو كان الحجر بيعوم هي برضو حتعوم.

مما جعلني أطمئن واستمتع بالتصادم الخفيف العرضي البيحدث بين نهديها وساعدي تحت الماء وكان مثيرا جدا ولكن أبوها لا يعرف شيئا».

عندما يأتي وقت الكتابة كنت أحب أن أكون وحدي حتى آدم، أحبه أن يكون بعيدا لأنني أحس أن الكتابة في لحظة إنتاجها ثروة يجب أن تخفي ولكن بعد إنجازها فهي عالم يستطيع أن يعيشه الجميع.

الكهف مرة أخرى : الخير

وجدته يجلس تحت شجرة البرازيل العملاقة عند بوابة المنزل عرفته من بعيد، كان طويلاً أسود قوي البنية ولا يشبه غيره بمجرد أن رأى العربة من بعيد وقف.

- الأستاذة نوار سعد.

- الخير... ما بصدق.

- جئت عشان اطمئن عليكم بعد الانقلاب الغريب دا وأشوف أخوي برضو ولكن قلت أولاً أجيك أنت، لأنني وعدتك.

كانت تفوح منه رائحة الرمال والشمس الحارقة، البلح الأخضر والأسماك الجافة، فبدا كأسطورة من أغرب العطر مختلطة بعبق النيل، عيناه عميقتان كطائرين يحلقان بعيداً في الأفق، ملابسة ملوثة بالغبار ومركوبه الكبير عليه بقايا الطعام، آثار الماء وأخرى، بدا واضحاً أنه أتى من سفر شاسع متعب ولثيم قال.

- قبل كل شيء، شاي عايز شاي ثقيل.
- مش أحسن تأكل أولاً.
- أشرب الشاي ثم آكل. حاسس بصداع.
- نجيب ليك إسبرين.
- لا. أنا حياتي ما بلغت أية دواء ولا مشيت الدكتور، عايز شاي بس بالمناسبة وين أمين؟!
- أمين في مأمورية في جوبا.
- طبعاً هو أستاذ في الجامعة.
- ما شاء الله.
- ثم أضاف سريعاً وكأنه تذكر شيئاً فجأة، أنا جيت معاي شحنة لوري بلح بركاوي وبعته في وقته.. الحمد لله لقيت السوق كاشف وطبعاً رمضان على الأبواب.
- كان يأكل بسرعة ولكن باستمتاع خاص ويتحدث عن كل شيء، عن أمه التي يحبها، العجائز، أطفاله، إنه سوف يتزوج في عيد الفطر.
- البلد كلها نساوين والرجال كلهم شردوا للخرطوم والواحد منهم عندما يبقى للزواج ويتزوج برضو من الخرطوم. أعمل إيه حاتزوج الرابعة والخامسة والسادسة.

كان يضحك بصوت غليظ مرح يطلب مزيداً من الرغبة،
سألني سؤالاً ما كرا

- ما عندك عيال يا نوار؟

قلت له

- والله ربنا ما رزقني وانت عارف، بتسأل لي؟

قال وهو يمد يده في الهواء وكأنه يشير إلى جني.

- راجلك الشايفو دا ما راجلاً يجيب عيال، الزيك دي تحتاج
راجل جَدَّ جَدَّ... راجل فحل يانوار، راجل راجل.

وبصورة لا إرادية نظر إلى موقع ذكره، ضحك وهو يحملق في
بطني.... ثم أضاف .

- ولا رأيك شونو بابت !!!

قلت له حقيقة دائماً لا أحب أن أصرح بها، ولا تحب امرأة أن
تقولها

- كبرنا يا الخير. دا كان زمان.

توقف قليلاً عن الأكل.. وقال في هدوء:

- يادوب نحنا في بداية الخمسينات عمر النبوة يا نوار.. وأنت
شباب اليشوفك ما يدريك أكثر من ثلاثين، نحن عيال متين يابت !!

أنت ما شفت خالتك السرة ولا عمتك نور الهدى ولا أبوي الطيب ولا جيرانكم أم سعد ولا زوجته الأولى مكة؟ حتى الآن مكة تلد الأطفال وهي أكبر منا بسنوات. وضعت السنة الفات تيمان ذكي وذكية، خالتك سعد كل سنة بتلد وهي في الخرطوم أنت شوفي الحوالياك بتقدري تعرفي نفسك.. يا نوار شوفي أمني متين وقفت من الولادة، يا بت الراجل كان عنده شي لو دفعه في الحجر بيثمر، ولو ما عندو حاجة، لو بال في بَتِ تِسْعَتَاشر ما مِنْهُ أى نفع.

اقتنع بعد الأكل على أخذ حمام دافئ واستبدال ملابسه بأخرى نظيفة ثم أن يأخذ قسطا من الراحة في الديوان، لحظات أخرى وعلا شخير. استيقظت على صوته يصلي صلاة الصبح، يرتل القرآن جهرا بصوت غليظ ثم يتلو الراتب، نمت، ثم، على وقع أقدامه يتجول في المنزل وهو يسبح بصوت مسموع ثم سمعته يدير حوارا مع عم جعفر الخفير الذي يبدو أنه انزعج بعبادة الخير وأنه استيقظ من نوم عميق، اختفت أصواتهما ربما ذهبا إلى الحديقة، في الصباح الباكر، طلب مني صراحة أن أطلق أمين محمد أحمد وأتزوج هو وقال: إنه يعدني بأن يقضي شهرين إلى ثلاثة أشهر سنويا معي، وأنه يستطيع أن يجعلني حبي في ليلة واحدة، ما فائدة الإنسان بدون ثمرة؟ لكنني أكدت له أنني لن أفعل ذلك وأن أمين هو زوجي النهائي إلا إذا اتفقنا على الطلاق انا وهو.....لمح لي أثر رفض فكرته، أن أمين لا يمكنه أن يشبعني جسديا، قلت له في سري إنه

مسكين لا يعرف شيئاً عن تاريخي مع الرجال يخصني كان عظيماً، وكنت ملكة متوجة على عرش رغائبي وأنني فعلت ما أستطيع من أجل إشباع جسدي وإنني فعلاً استطعت أن أجد كلما كنت أطلبه من الآخر والآن أنا أمر بمرحلة إعطاء فرصة للآخر الذي يبحث عن حاجة تخصه عندي أن أجعل الحياة أجمل ولو لشخص واحد لا أكثر، هو أمين محمد أحمد هي مخاطرة ولكن يقول شيخي النفرى:

في بعض المخاطرة النجاة.

فحسبي ذلك، قلت له في سري، إن الوقت الذي يخصني مضى وأخذ نصيبك رجال شتى يتبعثرون ما بين أقصى شمال العالم إلى أقصى جنوبه قال لي:

- قبل ما أسافر حاجي ثاني عشان أقولك مع السلامة.

كان وهو يمضي تفوح منه رائحة المني، التمر الطازج وعرق البلح. قال لي شيطانٌ لئيمٌ: فكري في الأمر يا نوار.

جماليات الكوارث : فصلٌ في المالِ الحلال

زوج سابا تخلى الثرى الشيخ طه لم ييخل بخمسين مليوناً وهو نصيبه من تكلفة صيانة منزل مايا زوكوف، كان مبلغاً كبيراً، لكن لا أحد يراه كذلك، الجميع الجميع دون فرز حتى سابا تخلى نفسها كانت ترى أن زوجها الشيخ طه قد بخل بماله بوضوح وخزي، ربما لأسباب سياسية لمواقف عقائدية لا يرغب في الإفصاح عنها، كان أمين محمد أحمد أكثر الناس احتجاجاً لأنه ونوار سعد عليهما إكمال صيانة المنزل بجهدهما الخاص، كان يرى أن الشيخ طه بعد أن فاز بشراء كوارث مدينة كسلا في العام الماضي صار الرقم الخامس من حيث الثراء في البلاد الكبيرة كلها لا يفوقه إلا رجل فاز بشراء كوارث نازحي دار فور مؤخراً. ويقول أمين محمد أحمد وهو في حالة غضب لنوار.

- اشترى الكلب الكارثة كلها بمليار دينار فقط، وقد استلفه من البنك وأودعه البنك ذاته..... انظري بعد ذلك عندما دمر القاش كسلا.. انظري ملايين الدولارات

والإعانات انهارت من جميع دول العالم... كم مليوناً من الدولارات... كلها... كلها دخلت حسابه ومخازنه... تصوري أنه في الخمس ساعات الأولى غطى مليارته، من تبرعات مدينة القضارف وبورتسودان فقط.. حلى، نساء، ساعات، رغيف عيش، حطب، دقيق، ملابس، جازولين، شرموط، وقود فحم، لحوم، دينارات سائلة، ملح... كان يعمل معه ألف عامل بالتمام والكمال في المحليات، في المخازن في المطار في الجمارك في الطرقات حكومات الولاية، الجيش، البوليس عمال توزيع الأطعمة... كانت أية قطعة خبز في طريقها إلى فم طفل لا بد أن تمر بمحاسبه ومخازنه هو أولاً يأخذ حقه منها ثم يرى في شأنها، وقد تصل حبة عيش أو مجرد وعد بالرغيف أو يدفع فرق السعر وقد قدمت له الحكومة الخدمات الإعلامية من إذاعة وتلفزيون وميكروفونات وندوات خارجية وخطابات وزارية وتنظيم رحلات السفراء الأجانب وعمد الجاليات والمنظمات العالمية ليطلعوا على خراب القاش بأعينهم وقامت الحكومة بتصوير فيلم سريع ومن حر مالها ليعرض في القنوات الفضائية العالمية من أجل العمل الإنساني السريع الفوري، بل أن سفير البلاد الكبيرة في الأمم المتحدة طالب كوفي عنان شخصياً بزيارة كسلا..... وقد أرسل الأخير وفداً رفيع المستوى حلق بطائرة الهليكوبتر العملاقة في المدينة كلها من أجل زرع البهجة والأمل في نفوس الغرقي والمسؤولين والناجين على السواء، أما طه فقد كاد أن

يغمى عليه من الابتسام. قال إنه أنفق في كوارث القاش ثلاثة أضعاف ما اتفق عليه... أشك في ذلك.... حتى ولو كان ذلك صحيحا إنه ربح من هذه الكارثة حوالي ثلاثة ملايين من الدولارات.

قلت لأمين.

- (.....)

قال ببرود وحلق جاف.

- لا شيء.

ضحكنا كثيرا... كثيرا.. كثيرا، كانت سبابا تخلى زوجته الثانية، الأولى لم تنجب له الأطفال وهي قريبته كان يحبها وما زال، ولو أنه تزوج مرة أخرى رغما عنها ظنا منها أنها سوف تنجب يوما ما... عليه الانتظار ولكنه تعجل الأمر وخاصة بعد أن ظهرت بوادر النعمة برضي المجموعة عنه، فقد وفد إليهم من حزب سياسي معارض ذي سيط، وأكد على ولائه عندما أبلى في معارك الاستوائية - قبل السلام - بلاء - قُيم بأنه - حسنا، وقتل ما لا يمكن التأكد منه من الجنوبيين، وأنه الآن أخذ يفكر جديا في وريث لماله واسمه ولنسله واضعاً في الحسبان أنه الولد الوحيد لأب له من البنات ثمان، الآن جميعهن ثريات وقد ظهرن مرة في التلفزيون في برامج سيدات الأعمال، بأياديهن السمينة ارطال من الذهب وألوان من الحناء، يغرقن وجوههن بأغلي الكريمات، يشوين قلوب النساء غيرة وهن

يستعدّلن أثوابهن الفارهة بين الفينة والأخري وكن في غاية الجمال والأناقة والغنج عندما يلوين شاليفهن الكبيرة ليتحدثن. ومن الطبيعي ألا يحكين عن شيئين: كيف وأين كن قبل أن تهبط عليهن الثروة، الثاني من أين لهن هذا....؟ لكنهن أسرفن في وصف وضعهن الحالي وإدارة المال والرجال والعيال، الموضة، ولكي يصبحن أكثر حداثة، تحدثن عن دعمهن لإنهاء التمرد في دارفور والقضاء على الحركات المسلحة بتقديمهن لزاد المجاهد.

أنجب منها نوار، وسماها نوار لأنه يكن شكرا وعرفانا كبيرا لنوار سعد التي لولاها لما كانت سابا زوجة له، سابا الجميلة الممتعة، وكان يريد منها ولدا ليضمن مسألة الوريث ولكن عندما جاءت نوار احتفل بها واحتفى احتفاء يليق بمكانته السياسية، والاقتصادية والاجتماعية ووضعه في الأسرة المميز، وهي السامية التي حضرها الرئيس وكافة الوزراء والبيوتات السياسية وكثير من رجالات السفارات الأجنبية ورجال الأعمال والثروة وكبار التكنوقراط، وخلت تماما من المشردين الذين يضايقون الناس في الولايم الكبيرة وتم ذلك بتعيين فرقة من البوليس وإدارة الشعب والأزمات العنيفين، الذين لا يرحمون ولا يعصون ولا يأبون والذين يضربون والذين إذا شاء لهم أن يقتلوا فإنهم يقتلون.

قدر أمين محمد أحمد تكاليف حفلة السامية بمبلغ ٣٢٠٠٠٠٠ جنيه.... ما تبقى من أطعمة جيدة وطازجة وسهلة الهضم حُمل في

شاحنة كبيرة إلى خارج المدينة الكبيرة قرب موقع حي فقير وفي سبيل الله وحدة قسم للجميع : كرامة وسلامة.

كان جارنا، تقدم لسابا قبلنا قبلت، تزوجها وأنجب منها نوار، كان كريما، إلا أن الناس يريدونه أكثر كرما... لأنهم... على الأقل يعرفون مصدر ماله.

بعد التحولات السياسية في البلاد وهي كما يلخصها آدم :

بواد السلام / حرب دار فور.

انتباه أمريكا لمصالحها في السودان.

دعم الصين والدول العربية وإيران للحكومة عسكريا،

النموذج العراقي والأفغاني

تلويح أمريكا بالتدخل العسكري في دارفور.

النموذج الليبي.

الشيخ طه الجيل، مثله مثل بعض أصدقائه عندما وعي التغيرات السياسية الكبيرة والصغيرة، أخذ يحس بوخز الضمير الناتج عن الخوف من المستقبل، وبدأ يتبرع في المناسبات وفي غير المناسبات بمال يزكي به مالا لديه في بنوك كثيرة يعرفها، ومشروع «طريق مايا العزيز» كما سمته منظمة اليونسكو هو فرصة للتطهير والطهارة والغسل النظيف، ولكن كما يقول أمين محمد أحمد.

- ولكن ليس بهذه الرخصة لا نريد منه أكثر من مليار ولا أقل.

قبلنا بغسيل أمواله فينا، ولكن فليحسن الغسيل.

طريقة التسوق الجماعية التي كنا نتبعها في السابق ما زلنا نحافظ عليها إلى اليوم، وهي الذهاب الجماعي إلى سُوق المدينة وشراء مؤنة الأسبوع كله في يوم الجمعة ولو أننا جميعاً نعمل في المدينة إلا أن المعجيين للتسوق معجيين للتسوق فقط.

أثر الانقلاب الذي سُمي بالكاذب أو الفاشل: حسب المتحدث، ما زال مؤثراً بوضوح في الشوارع والناس والخطاب السياسي والجرائد وحتى سعر السلع والمواد التموينية والكتب أيضاً.

اشترينا كما اشترى الناس شراء من يخاف أن يستيقظ ذات صباح ويجد السُوق وقد فرغ من كل شيء، لأن الإشاعة التي تقول إن ذاك الانقلاب ليس بكاذب، إشاعة قوية وإن هناك حقيقة لا يفصح عنها وإنهم أغلقوا صحيفتين وهددوا بإغلاق أخرى لأنهما أُلْمتا بما يُشبه عين الحقيقة... أو عين الكذب.

أجلت زيارة دوشكا تدروف إلى البلاد الكبيرة حتى يستقر الوضع قليلاً، الصيانة في الكهوف تتقدم بصورة جيدة، العمال يقضون وقتاً أطول في إعمار منزل مايا زوكوف، حدد الجغرافيون خارطة سير مايا منذ خروجه الأول من روسيا، رسموا مدناً كثيرة متبعثرة في العالم، عدة قرى لم يسمعوها من قبل، أحراشاً فلولات

ومغارات وصحاري وممالك صغيرة جميلة ليست بذات أهمية، دققوا بصورة أكثر تفصيلاً على البلاد الكبيرة، عندما اهتموا إلى أحد رجالات البوليس السري، الذي كان يمثل المسؤول المباشر عن تحركات مايا زوكوف، استطاعوا أن يحددوا عدد المرات التي تبرز فيها مايا زوكوف في العراء وأين، المغنية الجميلة عفراء عبد الغني قطعت شوطاً كبيراً في التدريب على ألحان مداح المداح السورية حتى البدوية بلهجتها العذبة، الفنان كمال زكريا يضع اللمسات الأخيرة لنصب الحدأة، الذي تم ترميمه في سنوات الظلامات حيث اتفق الناس على تسميتها - رجالات الحكومة أيضا يحبذون هذا الاسم، سكرتارية الاحتفال استطاعت أن تصل إلى تسعين في المائة من الأشخاص الذين حضروا يوم تأيين مداح المداح وما زالوا على قيد الحياة، حتى المجنون الذي صعد ذات مرة على شجرة التبلدي وخطب خطبته الشهيرة، ولحسن الحظ أيضاً، وافق النور عثمان أبكر على أن يتم تكريمه في الحفل الافتتاحي كأكثر شعراء البلاد جنونا في فترة ما بين تهجير أهالي حلغا القديمة، ومقتل الأستاذ محمود محمد طه، ولو أنه لم يوافق على قراءة أوراق الابن العاق كلها واعتبر ذلك محاولة لتضليل أحبائه، الذين أعجبوا به كثيراً: بأنه يحبهم أقل.

العالم كله الذي يخلصنا في انتظار - زيارتك يا صديقنا دوشكا تدروف.

قال أمين محمد أحمد لسابا عبر الموبايل:

- سنسافر إلى إثيوبيا مباشرة ثم من هناك مباشرة إلى استراليا.

قالت سابا:

- الفكرة دي هي الأحسن، لأن القاهرة وسوريا كلها بلاد يمكن أن يتوقعنا فيها، وبسهولة يقبض علينا زي الكدايس.

- أضفت بتتنا نوار للجواز؟ سألت سابا

- كل شيء جاهز.... حتى شهادة الميلاد بالاسم الجديد، غيرتها، بس ما غيرت اسمها إلا.... اسم الوالد فقد سميتها باسم والدها الحقيقي وهو أنا: أمين محمد احمد.....

- ها.....ها..... ياريت لو عرف، ليه ما غيرت اسمها هي برضو؟... آه... عاجبك اسم نوار سعد؟

- ما تزعلي عندما تلدي ولد، نسميه طه طه عشان نوزن الموضوع.

- أنت نوار لسع عاجباك.... وأنا عارفة كدا.....

-إذا كانت عاجباني ليه أهرب معاك؟ أنت المرأة الوحيدة ملخص من كل النساء وابنة طفلي..... بحبك يالعيثة،

- بحبك، بحبك، بحبك، بحبك، باي... سامعة صوت في الباب.... اضرب لي بعدين.. لمان اعمل ليك مس كويل... باي...

سابا تخلي: في مديح الحبشيات

لا الشمس، ولا القمر،
ولا النجوم منحني النور،
لكنه الظلام.
ونور الحب في داخلي مخترقا جسدي
(غونار أكلف)

الزمن ليس كله من ذهب، في صباح جميل في الحديقة
تحت ظلال الفيكس الستكا وزقزقة الكروان ونداءات
الكلج كلج آتية من سدرية في الجوار، أطلقنا للأزمنة
أسماءها: زمن من ذهب هو الوقت الذي يكون فيه الشيخ
خارج البلاد الكبيرة وتكون فيه نوار سعد أيضا في سفر
خارج البلاد الكبيرة، حينها نغلق أحد البيتين إغلاقا جيدا
ونترك ما في الخارج لله والخفير ونمرح أنا وسابا تخلي في
المنزل الآخر، نشبع هواياتنا في مشاهد أفلام الجنس

بواسطة cds والقمر الاصطناعي هوت بيرد، ونقرأ كتاب الكماسترا ونطبق الأوضاع التي به، نقرأ الشعر أيضا شعر، بابلونيرودا، عثمان بشري، غونار أكلف، نجلاء عثمان التوم، إدوارد إسلن كمنجز وولت ويتمان، محمد الصادق، أليس ووكر، ودائما ما تتخلل السهرة أغنيات سابا تخلي الحبشية الراقصة، التي نرقصها معا، غالبا ما أقدم لإجازة قصيرة من الجامعة، في مثل هذا الزمن، حبلت سابا بنوار في وقت ذهبي من هذه الأوقات، هذا سر جمال نوار نوار أمين محمد أحمد..... أليس هذا اسما جميلا..... هناك زمن من فضة وهو زمن أقل جمالا ولكنه أحسن من زمن أقل منه درجة، وذلك عندما يكون الشيخ في سفيرة أو نوار سعد في السفر..... أي إحداهما خارج البلاد الكبيرة هنا تحلو المغامرة وسرقة الأوقات الممتعة لحظات الحياة التي لا تتكرر، وهنالك حقيقة أريد أن أقولها:

إن سعادة الحياة مرتبطة عندي بسابا وكل المعاني الجميلة والاشتياق الحب، والانتظار، والتفكير، الشعر، الأغنيات، الرقص، الفرح، السفر الليل، البيوت، السكينة المشاوير الكلام الرطانات السهر، السينما، الأقمار الاصطناعية، الأمطار، الصيف، الشتاء، الطفولة، الولادة.... كلما مر شيء بي تخللته سابا تخلي، هي امرأة خلقها الله أرق، أنعم، أحلى، ألدن أنور، أطيب، أحب، أسمى، أنضر، لسابا ما لا يوصف، لكنها تحس، تلمس، تقبل، تعطي، تمنح، تهب،

تذوب، تفيض، تضيء هي اكتمال الأشياء كلها..... هي المرأة التي يصبح الزمن كله من ذهب، بين ظهرانيها، ولكني أطوع نفسي في زمن المغامرة، في زمن الفضة، أيضا، كنا نلتقي لقاء سريعا في، أحد البيتين أو في أي مكان..... قد نكتفي بقبلة أو احتضان سريع أو كلمة أحيانا همسة، أو مجرد نظرة..... ولكننا نلتقي - أيضا عند قهوة الظهر مع نوار أو الشيخ أي عند تواجدهما..... ولأنهما لا يشكان في سلوكنا، فإننا لا ندعهما يشكان.. وهنالك زمن من برونز، وهو أن يتواجد بالبلاد الكبيرة، كلاهما ولكنهما يذهبان للعمل نهارا فماذا يمنع أن نلتقي بأحد البيتين إذن؟!

هناك زمن من ورق،

وهو أن يوجد الاثنان والوقت عطلة وأنهما مستقران في البيت... وهل هنالك من يحرمنا من لعب الشطرنج والليدو أو الكتشينة معا؟!

هناك زمن من شوك،

ونار وطين وتراب وغبار وظلام،

ولكننا أنا وحببتي سابا تخلي لا يحول بيننا حائل ولا يطالنا طائل نعمل في نقطة الأمل / المخاطرة، شعارنا الحياة مرة واحدة لا تتكرر.

نوار سعد كانت تضع لفارق السن الكبير بيني وبينها ألف

حساب ولا تؤمن بكذباتي الصغيرة عليها فيما يخص الارتباط المقدس الأبدي، وكيف كنت أحتفظ بملابسها الداخلية وأدفع فيها الغالي والنفيس لسابا التي تقوم بسرقتها... وعرفت أنها وضعت كل ذلك في سلة حرمانى من حنان الأب - كانت تأخذني للتسوق في أرقى الأسواق المحلية والعالمية أيضا..... وتساعدني في الزمن الورقى - على التحضير لمحاضراتي القادمة بل إن معرفتي بالشعر الإنجليزي تعمقت من خلال نوار سعد حيث كانت لها اهتمامات حقيقية وفعالية بالشعر، وتعرف، بل صادقت كثيرا من الشعراء مثل أليس ووكر وأميري بركة ولولي ينج، وتعلمت منها حقيقة حبها للآخرين فكانت سيدة مضيافة وترحب بأصدقائي وصديقاتي وخاصة الطالبات الجامعيات حيث كانت تقدم لهن رعاية خاصة فلم يحدث أن أتت صديقة معي إلى المنزل ولم تهدها نوار سعد طبقاً من الصابون والكريمات والأمشاط الفاخرة، زجاجة عطر قيمة، ربما فكرة تكوين منظمة خاصة برعاية الطالبات الجامعيات نبعث عندها أثر هذا العطاء وهي المنظمة المعروفة باسم طالبات، التي ترعى أكثر من ألف طالبة فقيرة بالعاصمة وأقاليم البلاد الكبيرة..... حدثتني سابا ذات مرة أن نوار سعد جمعت ما بين عمل الخير والاهتمام بالفن المرئي.... قالت: أخذت من الحياة ما يكفيني الآن وقت العطاء... عازية أخليه يشوف حياتو.. ولكن هذا غير صحيح، فلقد كانت تضيق على الخناق بصورة مزعجة، ولا تدعني أفلت من كفها أو بصرها أو سمعها إلا إذا كان ذلك رغما

عنها، بل كانت تستهلكني بصورة مرعبة.... عندما تحضر نوار سعد من إحدى سفرياتنا كانت لا تخرج مساء إلا للتسوق قليلا أو تزور إحدى بيوت الطالبات لتطمئن على أن ليست هنالك طالبة في حاجة إلى كريم أو صابون أو مصروف ضروري ثم نعود.

لاحظت أنني دائما ما كنت أرغبها وبصورة ملحة وقد أوقعها في الليلة الواحدة أكثر من ثلاث ضجعات، اندهشت من نفسي.. ولو كنت أومن بالسحر والعمل والفُكْيَة ربما قلت أن بعض ذلك حدث لي.... ولو أنها تطعمني بصورة جيدة وتشحن بطني بالألبان والفاكهة والعصائر والمشروبات المستوردة إلا أنني كنت أحس بأنني مستغل ومستهلك..... وعندما عرفت السر لم أستطع أن أرفض.... فكنت أشرب عصير المساء المطعم بحب الفياجرا برضاء تام وعدم فضح حقيقته، إذا كانت صريحة معي لاستبدلت عقار الفياجرا بالأعشاب الصينية الطبيعية التي سرقتها لي سابا تخلى من زوجها حيث كان يستوردها بكميات كبيرة لأصحابه من الطبقة، يخزنها في المنزل....ولكن.

هاتان المرأتان شكلتا إحداثيات حياتي وكنت أشك فيما إذا كانت نوار سعد تعلم بعلاقتي مع سابا تخلي وأنها تصرف السمع والبصر عن ذلك بل وتدعي أن علاقتي بسابا كعلاقة الأخ بالأخت أمام زوج سابا الشيخ طه بيني وبين نفسي أريد أن أحسم هذه العلاقة في يوم ما..... ولكن ليس لصالح نوار سعد على أية

حال..... أمي تريدني أن أتزوج بنتا صغيرة من الجيران تصلح
للبيت وإنجاب الأطفال وتفضلها مكملة للشانوي العالي فقط -
وكفاية يا ولدي المتاهة الي انت ضايع فيها دي!!

أمي لا تعرف أن الرجل عندما يعجب بالحشية لا يرى شيئا آخر
والعيب الوحيد في سابا أنها متزوجة ولكنها تنجب لي البنات
وإذا سافرنا معا إلى الخارج سنتزوج.... وسنجيا.

في الكهف مرة أخرى

استأجرنا بيتا صغيرا في ضواحي الخرطوم بأجرة شهرية لا بأس بها وكان يخلو من المطبخ ولكن آدم قام ببناء مطبخ صغير بالطوب الأحمر والطين وعرشه عرشا بلديا متينا، حفرنا أنا وهو مرحاضا في إحدى أركان المنزل خاصا بنا بدلا من المراض المشترك بيننا والمستأجرين الآخرين، ساعدنا بعض الأصدقاء في بنيائته وتجهيزه.

آدم يعمل موظفا صغيرا في شركة نقل تخصص إحدى نساء الأعمال الثريات وأنا دخلت عدة معاینات للعمل كمهندسة ديكور أو مصممة أو حتى معلمة للرسم والتلوين في مدرسة من المدارس ولكن لم أوفق في ذلك فكرت بصورة جادة أن أعمل لحسابي الخاص في المجال الذي لي باع فيه وهو مجال النحت وأن أعمل عملا صعبا ولو أنه شاق ولكن حقيقيا ويشبع حاجتي وتطلعي الفني ولا أنتظر عائدا ماديا في القريب العاجل وأن أبدأ العمل في كهوف مايا زوكوف....

استخدم الحجارة الجيرية والترسبية والرخام الجميل الذي يتميز به ذلك الموقع، وطرحت الفكرة لآدم فاقتنع بالفكرة وطرحناها لما يكل، القديسة، نوار سعد، أمين وسابا فأكدوا على أنها فكرة شجاعة وكونوا صندوقا سريعا لشراء معدات النحت، قطع الحجارة وصقلها ومواد الطلاء، وقمنا برحلة لمعاينة المكان وتحديد موقع العمل وجدنا كمال زكريا وفرقة يعملون في جد في صيانة الكهوف وإعادة طلاء ما أتلفته النار التي كان يوقدها البوليس في عهد الظلام لأغراض الإضاءة والطعام والتعذيب أيضا.... اخترنا موقعا مواجهًا للكهف الكبير، حيث نصب الحدأة التي تحلق عاليًا صوب الحزن .

وسميت المرسم بيت الأمل، أول قطعة رخام كبيرة بدأت في نحتها كانت وزن طنا كاملا، لونها أحمر متدرجا نحو الوردي، الفكرة الأساسية هي أن أشكل عصرين عصر بدأ منذ ٨٩ واستمر إلى ٢٠٠٤ وينطلق نحو أسئلة كثيرة قد تكون متناقضة وقد تتوافق ولكنها تمثل فيه تأثير النظام العالمي الجديد في واقع الحياة في البلاد الكبيرة وأريد أن أعبر بالذات عن هذه الحرية التي نعيشها اليوم، الحرية المطلقة حيث الضمان الوحيد لاستمراريتها أمريكا لأنها لم تأت بنضال الشعب في مؤسساته الوطنية الرسمية أو مؤسسات المجتمع المدني أو مجاهدات مثقفيه أو حتى اقتناع السلطة الحاكمة بجدوى الحرية والديمقراطية والحكم المدني ومؤسسيه

وحقوق الإنسان...أريد أن أعبر عن كل ذلك..... فأخذت أنفذ الدراسة تلو الدراسة أمزق وأناقش الناس وأتأمل الحال، وذهبت مرات عدة إلى كلية الفنون الجميلة والتطبيقية وطرحت سؤالا للطلاب وطلبت الإجابة عليه نحتا أو تخطيطا أو تكوينا مرسوما، فتحصلت على أشكال قبيحة سطحية لا تحمل أي بصمة خاصة بجيل أو مدرسة أو شخص أو حساسية، مجرد إحساس..... كانوا يقلدون أو يرسمون وفي أذهانهم أساتذتهم لا غير.

قلت لهم: ارسموا بأحاسيسكم أنتم حيث كنتم شهودا على عصر مظلم مضى وزمن جميل يأتي... قالت لي إحداهن يا أستاذة..... نعم هنالك عهد قبيح مضى ولكن: عصر قبيح أتى أيضا، أقبح نعيشه الآن.... ثم انتشلت

لا تحلموا بعالم سعيد

فخلف كل قيصر يموت قيصر جديد...

وكنت هذا ما أخاف منه بالضبط.... قلت لها محاولة أن أعرف منها أكثر: والسلام؟

السلام البين الحركة والحكومة..... أم ما بين الشمال والجنوب... ولا الشمال ولا الغرب ولا بين سكان دار فور من عرب وحكومة من جهة وفور زغاوة ومساليت، داجو وآخرين من جهة أخرى... أي سلام، هل نضع جبال تلشى في الحسبان

وحزب المؤتمر الشعبي والوطني أنا لا أفهم يا أستاذة ... اضيفي
بعد دا كله إلى الانقلابات الكاذبة!!!

قلت لها بوضوح.

- أنا أيضا لا أفهم ...

الآن اكتشفت فائدة المعتقل والسجن والتعذيب الذي نلته في
الفترة الماضية أنه يجعلك أكثر حساسية للتغيير الذي يطرأ ولو كان
تغيرا طفيفا نحو الأحسن، وهؤلاء الذين لم يدخلوا جحيم العهد
الماضي لا يستمتعون بكنه هذه الأيام، الذين لم يعتقلوا، لا يميزون
هامش الحريات، ولا يعرفون أسماء الملائكة، كان الطلاب
متشائمين وأشارت لي بنت صغيرة جميلة سوداء لها عينان كبيرتان إلى
تمثال من الأسمت قام بنحته كمال زكريا كمشروع للتخرج منذ
سنوات كثيرة مضت، وهو عبارة عن عنكبوت كبير على رأس رجل،
يقبض عليه بأطرافه بقوة، آكلا من جلد فروة رأسه، مسيطرا عليه
سيطرة كاملة ونهائية والرجل لا يفعل شيئا سوى الصراخ، قالت.

- شايقة يا أستاذة،

دي هي الحكومة بالأمس واليوم وغداً، والبصرخ دا هو
الشعب.

بدأت النحت على قطعة الرخام بعد ذلك مباشرة بدون أية
اسكتشات، أو دراسات أو أفكار مسبقة، أطلقت الحرية ليديّ

والأزميل والشاكوش يفعلون، فعلهم الأولى، ثم بعد ذلك أبدا بتوجيه الشكل وهي طريقة استخدمتها من قبل عند ما تكون لدي الفكرة ولكن يغيب عني الشكل المعبر عن الفكرة، في تلك الفترة تم إعادة التيار الكهربائي إلى الكهوف، مما سهل العمل الليلي على ضوء الكشافات الكبيرة، كان آدم يرافقني في العمل بعد الدوام الخاص به في الشركة كان متخصصاً في التلوين وله معرفة عميقة باللون، صناعة واستخداما ودلالات.

وأكدت معرفته هذه الأعمال التي قام بها في إعادة تأهيل كهوف مايا زوكوف، بعدما تأجل الاحتفال بمايا إلى العام القادم أتيحت لي الفرصة أن افتتح معرضي الأول في ذات أيام الاحتفال، لكي يحظى بفرجه أكبر نوعا، كيفا وكما، وقد تفتتح لي آفاق لمشاركات خارجية، وقد تشتري بعض قطعي الفنية بواسطة أجنبي، حيث تنطلق إلى العالم الأكبر... كانت أعمالي كلها على الحجارة بجميع أنواعها حتى الجرانيت واستخدمت الحصى أيضا مع الأسمت الأبيض واستخدمت الرمل الخشن والناعم مع مواد كيميائية لامعة، كل ما شكلته الطبيعة حول الجبل، أما العمل الأكبر هو أنني استخدمت الواجهة الشرقية للجبل كلها، التي تقع في مساحة نصف ميل مربع كقطعة فنية واحدة كبيرة، قالت عنها نوار سعد.

-إنها أكبر قطعة نحت في العالم بعد أن دمر الطالبانيون تمثال بوذا في أفغانستان، تتكون في ألف قطعة حجر من أحجام مختلفة من

الجرانيت الأسود وقطعة واحدة كبيرة من الرخام الأبيض في شكل بيضة ضخمة لنسر خرافي تكون فضاء المربع أعضائه كلها، التي تمثل في نفس الوقت شمسا تشرق أو تغيب، استغرق إنجاز هذا العمل ثمانية أشهر وخمسة ألف دينار - دفعتها اليونسكو - معظمها إيجار لرافعات وعمل عتالة ودربكين وقطع حجارة، كان معي خمسة عمال أشداء بصورة متواصلة، لا يكلون ولا يملون ولا يمرضون إضافة لذلك، كنت استعين بالشغيلة والفنيين الذين يعملون في كهوف ما يازوكوف فلادمير، ساعدني أيضا طلاب كلية الفنون وكانوا معي كل ساعات دراستهم العملية وأوقات فراغهم، والبعض أقام مع العمال في الكهف بين وقت وآخر يأتي من يقدم يد العون طوعا، كان عملا شاقاً ولكنه مثمر، منحتني من أجله الجامعة شهادة الماجستير في النحت، وتم تعييني أستاذة بالجامعة براتب جيد ولكن الغريب في الأمر كان من ضمن الأشخاص الذين جاؤوا طوعاً للعمل معي والمساعدة الشرطي جمال الأمين وكان يأتي في الوقت الذي يذهب فيه الجميع للراحة ويطلب مني تكليفه بعمل ما فينجزه على سرعة البرق ويختفي.. طلب مني ألا أبلغ عنه أو أن أحرمه من المساعدة... وقال،

- أنا شخص مفيد.. ولكنني شديد الغدر... ولا يمكن قتله.....
مش كدا...؟!!

ومن الأحسن أن تتعلمي كيف تحبيني.. وتعتادي علي.

اللحظة التي رأيته فيها كاد أن يغمي على من الرعب والخوف والدهشه أو ربما... لا... شيء سوى استدعاء الصدمة التي عانيت منها، التي كان هو المايسترو وقائد أوركسترا رعبها، ولكنني :

ألم أقتله،

ألم أقتلك؟

لا أحد في ذلك الوقت احتفى به، لا أحد يمكنه أن يسمع صراخي، لا، إذا صرخت فيهب لنجدتي لا أحد.....

كنت أنحني على قطعة فخار كبيرة أقيس أبعادها، حينما أحسست بظل ثقيل يقترب مني، قال

- مافي طريقة الزول يعرف بيها أخبارك إلا في الجرايد، مش كدا؟

ما يقارب العشرين عاما منذ أن قتلته في الكهف، عشرون عاما

- أنا مش قتلتك؟

قال وهو يقترب مني أكثر، فتقترب مني رائحة العرق، تبدو ابتسامته أكثر وضوحا

- ورميتني في القبر، مش كدا، برضو أنا سامحتك، حتى لو مت كنت حأموت وأنا ما زعلان منك، ولكن أنا عندي روح كلب، سبعة أرواح ولو كنت أموت بالسهولة دي: سجم أمي؟

ثم أضاف عندما أحس أنني أرغب في الهرب مازلت.

- أرجوك، أنا الآن في وضع مختلف، الكل يريد قتلي وعلى رأسهم الناس الذين كنت أحميهم وارتكبت كل الجرائم من أجلهم، كنت أداة مرحلة لا أكثر وحسب أنا أمثل ليهم شاهداً خطيراً على جرائم أكبر ويجب التخلص منه، من هذا الشاهد الهو أنا. وعائز أقول ليك، أنت هربت من الكهف بمزاجي أنا، أنا الأديتك الفرصة على الهروب، صحيح أنا ارتكبت خطأ واحداً وكان بإمكانني تداركه في الوقت المناسب ولكن ربنا أراد غير كذا، وكنت برضو عارفك وين مدسية، ولكني قلت لنفسني: أعمل يا جمال عمل خير ولو لمرة واحدة في حياتك،

بالتالي خليتك تروحي في حالك، لأنهم أنقذوني من الموت بعد أقل من ساعة من فعلتك، لأنني ما كنت مغفل بالصورة التخليني ما أحفظ بحرس، كنت في الأيام ديك مستهدفاً من كل الأحزاب والمعارضين، فقط أنا أخرت الحرس، يجيء بعد ساعتين من وصولنا للكهف، وجاء بعد ساعة من عملتك الما كنت مستبعدها تماماً، ولو أنك فاجأتيني بيها.

أنا عائز أساعدك وبس. و أريد أن أقول لك حقيقة مهمة، عشان تعرفي حسن نيتي: أنا حضرت زواجك من آدم، في قريرتك، وكنت سعيداً جداً وعشان ما أعكر مزاجك، وأذكرك بأيام الاعتقال، ما ظهرت ليك.

و أخذ يصف لي ذلك اليوم بأدق تفاصيله.

لا أعرف ماذا أقول، لم أعرف ماذا أفعل، لم أعرف أي شيء، كنت في صدمة تامة و: جنون.

فقط، كانت لدي رغبة واحدة مؤكدة، رغبة جامحة وملحة، وهي أنني أريد أن أقتله، اقتله أقتله أقتله.

قلت لآدم زكريا زوجي، وهو شخص هادئ رقيق يأخذ الدنيا دائماً مأخذ رفق وأناة، قال لي

- أنا أشوف يا سارة أحسن تبعديه عنك وتنسي موضوعه تماماً، (فالبلأ يكفوه بالكرامة)، الزول دا أصلاً ميت ميت، الحكومة حقتله وفي عشرين جهة أخرى عايزة تقتله ... عليك الله أنسى الزول دا ... في أشياء أهم ..

- الزول دا كتلني مليون....مليون مليون مرة....دمي الآن يغلي أنت ما حاسي بي؟

كلما أتذكره، كلما أشوفه، أنا لو ما كتلته بيدي دي ما حأكون مرتاحة .. وما عايزة زول يكتله قبلي .. أظنك فهمتني يا آدم، أنا تعبانة ومغيوطة، ومتألمة ومجرحة من جواي، مقطعة قطع قطع؟؟
قال بهدوئه المعتاد،

- كويس يا سارة، خرينا نشرك أصحابنا في الموضوع دا

ونستشيرهم، سابا، أمين، نوار، مايكل وبرهاني؟ الموضوع دا مش سهل، أنا معاك، الزول دا يستحق الصلب والحرق حيا، ولكن الإنتقام رد فعل عاطفي وغير عملي، وأنت زولة فنانة وإنسانة أنا ما عايزك توسخي يدك النظيفة بالقتل، مهما كان عادلاً ومبرراً ومنطقياً، ولكن أنا برضو براعي لظرفك النفسي والألم الكبير السببو ليك، خيلنا نفكر كمجموعة، واليتفق عليه الناس : نعمله.

سارة حسن تحب الكتابة ليلا، يعجبها الهدوء، أذان الصبح كان يدعو الناس للصلاة في إلحاح.

كَلَابٌ : لُصُوصٌ وَطَلَّاقٌ

بعد أن منعت الحكومة الجرائد من تناول موضوع الانقلاب وسكن الراديو والتلفزيون عنه وهما الكَدِيسَان التابعان للحكومة الوفيان، المدللان، نسى الناس الموضوع برمته، وبيعت المستشفى وسافر الطبيب إلى الخارج طالباً حق اللجوء إلى أية بلاد كانت... غاضباً.

- بلد كلها كذايين وحرامية.

كشفت نوار سعد مخطط أمين وفاجأته قائلة وهما قد فرغا من شرب شاي الغداء،

- أنت مسافر مع سابا؟!

قلت مندهشا

- وين؟!

قالت ببرود وهي تحملق في وجهي دارسة إياه بالطريقة القاسية التي أعرفها فيها،

- إيثوبيا ثم أستراليا...

قلت وبدأت أحس بالرعب يسري في عظمي، محاولاً في نفس الوقت ألا أبدو كذلك

- قال ليك منو..

قالت وما تزال عينها في عيني.

- سمعك زول تتحدث بالموبايل..

بكل أنفه قمت من مقعدي، وبحركة مسرحية قلت،

- نعم... قلت.. ما قال ليك إننا جادين ولا كنا بنهازر ونضحك!

- ما قال لي... قول لي أنت !!!

قالتها في غنج وهي تهز كتفها

- إنت رأيك شنو؟!

قالت مدعية البراءة بصورة فجأة وواضحة.

- أنا سمعت ما سمعت وأنت عليك تفسر ما قلت.. كذا ببساطة.. وأقول ليك أنا بصدق كلامك أنت تقول له الآن قدامي وبس.. في أكثر من كذا.

يبدوا أنها كانت متأكدة مما تقول وأنها افتعلت مسألة من سمع

افتعالاً وأن لديها مصادر أخرى أكثر قوة ودلالة، وأنا أعرف نوار سعد عند ما تكون قوية وعندما تكون في موقف ضعف، هي الآن في موقف قوة وذلك من انبساط وجهها ولبسها القصير جداً والتحدث من غير أن تستخدم أصابعها أو حركة جفونها، وعليك يا أمين أن تكون صاحباً دقيقاً قلت لها.. محاولاً استطالة الحوار أو البحث عن منفذ،

- أنت تعرفي أن سابا متزوجة مش كدا... هل حأسوقها مع زوجها أو أطلقها منه؟!

قالت ببرود وهي ترفع كتفيها إلى أعلى

- دا شيء تحدده هي وأنت !!

عندما طرق الباب تأكد لي أنني نجوت، فانطلقت أفتحه، وجدت أمامي الشيخ طه يحمل ما يدعي أنها بنته على كتفه في حنان دافق، التي هي بنتي أنا بحق وحقيقة وأستطيع أن أؤكد ذلك وخاصة بعد اكتشاف خارطة الجينوم البشري DNA،.. حيا بحرارة ثم جلس، قالت له نوار :

- أمين قال الكلام حقيقة وهو حياً أخذ سابا معه للخارج... وربما تزوجها هناك أو عاشوا سوا كدا .

فوجئت تماماً، وأدركت أنني بين فكي غول، أردت أن أقول شيئاً ولكنه قال بسرعة وهو يضع البنت الصغيرة في رجليه

الكبيرتين.

- اسمعني جيد يا أمين.. أنت عمرك حالياً على مشارف الأربعين.. ولكنك تتعامل بعقلية طفل صغير، والصعلقة اللي بتعملها دي، أنت ما بتعرف خطورتها ولا حدودها.. وتتصرف في الدنيا دي زيك زي أي كلب مطلوق ما عنده سيد وسعران، يعضني اليجده.. حتى نفسه ذاتها... نعم أنت متعلم أكثر مني... وأنا زول تخرجت من الأولية ولكن الأكبر منك بيوم أعرف منك بسنة... وبينني وبينك على الأقل عشرين سنة... وأنا عارف كل شيء عنك ومن الأحسن يا أمين تشوف مستقبلك وحياتك وتعود لأماك وأسرتك وزوجتك وتخلي الناس في حالهم... وأنا عارفك أنت دائماً بتحاول تغوى سابا، ودائماً تحاول تضللها، وأنا أعرف أنك حاولت تردها للدين المسيحي، وراودتها عن نفسها ولكنها ردتك... أنا أعرف زوجتي جيداً وعايز أعيش مع أسرتي وبنتي في سلام وشرف.. وهي فرصة أخيرة بالنسبة لك.. وأنا قادر بعدها أحسمك بطريقة يندهش ليها الجن نفسه... موضوعك دا ما يياخد معي قدر رمشة عين. وأقول ليك، سابا تخلي بنفسها أخبرتني بمؤامرتك الأخيرة، وحتى تسجيل البنت وتغيير اسمها وهي دي الشهادة الودعك بيها القمسيون الطبي أرسلها لي بنفسه...

وأخرج الشهادة من جيبه برهاناً جلياً، وعرضها بصورة استفزازية وقحة.

- آها... رايك شنو؟!

كنت أحاول أن أكون قوياً وأبدو كما لو كنت على حق مدعياً متكبراً، ولكن الإحساس بأنني أصبحو أو سكران أو أن شيطاناً في صحتي يكشفني لنفسي... كان يسيطر على هذا الإحساس الغريب... وحاولت أن أراوغ ولكن نوار سعد قالت لي بصورة مسرحية مفاجئة

- أنتِ طالق... يا أمين محمد أحمد!

كانت تقف أمامي مباشرة وهي ترقص ردفها بثقة في تحد، قلت، وقد جف حلقي وكاد صوتي أن يختفي .
- أنا...

قالت وما برحت مكانها بعد، تبحلق في وجهي.

- نعم، أنتِ طالق!!!

ثم أضافت وهي تمضي بعيدا نحو سفرة الطعام.

- فالعصمة في يدي أنا... ودا كان شرط زواجي منك.. هل نسيت؟ أنا الآن أطلقك... أنت طالق طالق طالق.
صرخت في هستيرية مفاجئة.

قلت موجهها كلامي إلى طه مشيرا إلى ابنتي، أتنني شجاعة من حيث لا أدري واحتسب

- البت دي بتي !!

و أشرت إلى نوار الصغيرة وهي ترقد في حضنه.

قال مندهشا وهو يقبض على نوار الصغيرة التي يبدو أنها قد نامت .. أمسكها برعب، كأنما هنالك نسرا كبيرا سيخطفها منه.

- منو؟!

- نوار..

- بتتك أنت !!... أنت أمين القدامى دا؟ الطلقوك الآن زي المرا؟

مشيرا إلى بأصبعه الأصغر.

- نعم.. بنتي أنا أمين القدامك دا.

قال ضاحكا

- لو كان بإمكانك إنجاب بنت ولا ولد ولا حتى فأر لأنجبت، فأنت متزوج منذ عشر سنوات من أجمل امرأة في العاصمة كلها.. وأقول لك بصراحة يا أمين.. أنت ما راجل... أنت زيك زي إخواتك والناس دي كلها عارفة كدا.. وأول الشهود نوار،

قال موجه حديثه لنوار

- يا نوار... أمين دا راجل؟

قالت بكل وقاحة ودون تفكير وهي تنظر إلى أم عيني..

- لا والله الرجالة في وادي وهو في وادي .. زي أخواته تماما
ويمكن أخواته: رشا ورشيدة ودليل أرجل منه...

قضبت غضبا أفقدني السيطرة على نفسي وفي ذاتي أعرف أنهما
كاذبان وأريد أن أؤكد لهما الآن في ذات اللحظة أنني رجل... ولكن
كيف؟! كيف يؤكد الرجل رجولته!!

- أنا ما راجل... يا نوار...؟؟؟؟

قالت وهي تنظر في أم عيني بمقلتين باردتين لا تعبران عن شيء
إطلاقاً

- بالتأكيد... أنت يا أمين محمد أحمد، الطلقتك قبل شوية،
القدامي دا هسع، ما راجل بكل ماتعنيه الكلمة من معاني.. أنت عنين
وعاجز عجزاً كاملاً... وأنت عارف الحقيقة دي جيداً

- أنا ما راجل...؟!

قال الشيخ وهو يضحك بكل ما أوتي من قوة وسعة فم وبمتعة
خاصة، وهو يضغط الطفلة على صدره الضخم..

- عشان كذا أنا ما كنت خايف على سابا منك... لكن أنت كمان
كترت المسألة عايز تاخذها معاك لأستراليا وأوروبا، تذكرني
بالطواشة الذين يقيمون في الحريم مع نسوان السلاطين.. ثم

أضاف في استغراب... وتقول عندك بنت كمان... اختشي يا ابني..
اختشي !!

قالت لي نورا وهي تنهض وتبدو فتنها في العيان تتبختر بملبسها
القصير

- يمكنك أن ترحل الآن.. أنا طلقتك.

ثم أضافت في سخرية وانتقام مُرين

- ولَمَّا تكمل العدة بتاعتك عليك الله قول لي عشان أرسل
ليك القسيمة مع مرتضى «الود المحامي».

حاولت أن أفعل أية فعلة، ولكنني عجزت عجزت حتى من
مجرد انتصاب صغير تافه أمام هذين الكليين لأثبت لهما رجولتي،
حقيقة لقد اختفى شيء عن الوجود تماماً... وأحسست بأنني امرأة
يطلقها رجلها الآن... ولا أدري كيف تمثل لي الشيخ طه وكأنه
الزوج الذي طلقني.

القديسة : سَهِير حَسَّان

لم أقبل بالطريقة التي تعاملت بها نوار سعد مع أمين محمد، التي حُكِيَتْ لي بواسطة أكثر من مصدر وشخص وصديق، البعض شامتاً على أمين أو ساخراً منه والبعض متعاطفاً معه والبعض غاضباً على نوار والشيخ وسابا وأمين نفسه الذي لم يستطع أن يدافع عن رجولته، هنالك رأي مايكل أنّ خطأ أمين الوحيد أنه ربط الرجولة بعضوه التناسلي، وأراد أن يثبت رجولته من ذاك المنطلق وكان يمكنه فعل ذلك لو عرف أن ذكره لا ينتعز إلا من الرأس، فالعضو لا يفكر ولا ينتفخ من تلقاء نفسه... ولكن العقل هو الذي، قلت لمايكل:

- ولكنهم تعاملوا معه بنظام الصدمات والمباغطة ولم يتركوا له الفرصة في أن يفكر.. مجرد تفكير هم عجائز متمرسون على الشر والانتقام وهو شاعر بسيط تجاربه الحياتية لا تتعدى رف الكتب ونوار وسابا،

- الحياة مدرسة ... وأمين دائماً ما يعيد نفس الفصل وقد مر بهذه الحصة من قبل ومع نفس المعلم وهو نورا سعد في نفس الفصل وهو بيتها ولكن هذه المرة مع ناظر مدرسة جديد

الأحداث أثرت بصورة سلبية على مجريات التحضير للاحتفال بما يا زوكوف حيث أن أمين محمد أحمد، الذي اختفى تماماً عن دائرة الأصدقاء، سمعا وبصراً وملمساً، كان حلقة الوصل الأساسية بين دوشكا تدوروف ضيف الشرف وصديقه المرحوم مايا العزيز، وبين إدارة الجامعة وسكرتارية الاحتفال، ولكن من الجانب الآخر قام الشيخ طه بزيادة تبرعه ودعمه للمشروع وتبنى شارع أسفلت يربط ما بين الطريق العام وكهوف مايا زوكوف وأسماء طريق نُوار، واشترى قطعة نحت كبيرة من سارة حسن بمليونين من الدينارات وأهداها إلى زوجته الجميلة سابا الرائعة، حيث كتب بماء الذهب في قاعدة المنحوتة التي تمثل امرأة حبلى بطفلة هي الأخرى حبلى بطفلة مصنوعة من الرخام الوردي في طول المتر وعرضها عند القاعدة نصف متر،

زوجتي الجميلة: سابا

ولكننا افتقدنا أمين وروحه المرحّة وقلقنا عليه حيث لا خبر ولا أثر، ومن حقه علينا على الأقل السؤال ... سابا قالت: إنه قد عاد إلى منزل أسرته وهو معتكف هناك بعد أن أخذ إجازته السنوية من الجامعة ... قالت: إن برهاني الأخ الأصغر لها حدثها بذلك فهما

صديقان منذ زمن طويل، يشرف الآن برهاني بنفسه على الطريق الذي تبرع به الشيخ، بنهاية فصل الشتاء سيكون كل شيء قد تم بمشيئة الله، سارة حسن كانت تضع في اللمسات الأخيرة لمعرضها الأول، العمال والفنانون أكدوا أن ما تبقى من عمل في الكهوف هو حفل الافتتاح لا غير، جمال الأمين الشرطي، يصدر بياناً عبر الإنترنت والجرائد القومية فيه اعتذار لشعوب البلاد الكبيرة كلها، واعتذار خاص لثلاثمائة فرد بالاسم والعنوان والصورة الذين عذبهم وقتل منهم عشرين ولكن الجرائد لم تنشر مائة اسم أخرى لسياسيين وتكنوقراط شاركوا في التعذيب والقتل وأداروه بأنفسهم، لكنهم موجودون في الإنترنت بصورهم وعناوينهم أسمائهم الحركية وأسمائهم الحقيقية وألقابهم وكشف بأسماء أفراد أسرهم ومواقع عملهم وإذا كانوا بالمدارس أو الرياض أو بالخارج بل هنالك ما أسماه دليل الاضطهاد، أي كيف يمكن الانتقام منهم، لمن أراد ذلك، فكان هذا حديث الشارع،

بالنسبة لسارة كان الموضوع أقرب للحلم منه للكابوس، وكانت تسأل نفسها في جنون كلما تفكر فيه: الزول دا أنا ما كتلتة؟؟؟

ناسية تماماً كلما قاله لها عن تلك الحادثة،

أما حديث الأصدقاء وطلاب كلية الفنون والوسط بصورة عامة هو زواج نوار سعد من الخير وتناولته جريدة اخبارية تحت عنوان

رومانسي:

« بعد سنوات كثيرة من الحب، نوار سعد أستاذة الفن المرئي تتزوج حبيبها الأول الخير ».

وفي الداخل كتبت عن أمين محمد أحمد كزوج أول أشارت إشارات خبيثة لعشاق كثر لا يعلم عددهم إلا الله... أخرى تساءلت في يد من العصمة في هذه المرة؟!

أقام طلاب المعهد احتفالاً صغيراً جميلاً بالمحراب احتفاءً بالزيجة المباركة حضرنا، جميعاً وبعض كبار التشكيليين وغنى فيه فنانون شباب، بعض المشاهير، الهادي حامد وعفراء القربة، الشيء المدهش هو أن نوار سعد كانت أجمل سيدة في الحفل كله.. كانت جميلة بصورة مدهشة وأكثرنا شباباً ورشاقة ولا أظن أن أحداً يفكر في كم عمر هذه البنت... عمرها لا يتعدى الأربعين بأية حال من الأحوال وهو أقرب من العمر الذي التقيتها عنده قبل عشرين سنة ما ضية قالوا: إنها تستخدم عقاراً صينياً نادراً... ولكن المعروف لدى الجميع أن نوار لم تقم بأية عملية جراحية تجميلية وأنها لا تستخدم أي عقار كيميائي لمعالجة علامات الكبر أو شيخوخة تباغتتها عند ما تكون وحدها.

قال عنها المختار ذات مرة،

- إذا كان الناس جميعهم متزنين في دواخلهم مثل نوار لما لم

يشيخوا قط ... ولكن رأى نوار في هذا الشأن غريب بعض الشيء حيث أنها تعزي كل ذلك لمراهقتها المتأخرة، التي استمرت من العشرين إلى اليوم..

قال عنها بعض الحاقدين والحاقدات من داهمتهم الشيخوخة وهم أصغر منها سناً،

- المسألة تكمن في الدعارة... مع عدم الإنجاب، نوار سعد تحلب الرجال حلبا وتستخدم ماءهم في ذلك وجهها وجسدها ... وهذا هو سر الشباب الخبيث الذي تبدو فيه..

توقع الناس ظهور أمين فجأة ولكن مضى الاحتفال دون مفاجئات تذكر، غير أن الخير طالب بشدة بزجاجة من عرق البلح «القوي» والشخص الوحيد الذي كان بإمكانه الإيفاء بهذا الطلب هو أمين محمد أحمد وهو غير موجود... سُقِيَ زجاجات كثيرة من الجن وحتى الفودكا ولكنها لم ترض فيه مطلباً، فصاح هاتفاً:

دي بلد دي؟! بلد مافيه عرقي بلح؟! قاعدين تسو بالليل الطويل ده كله شنو؟!!

يعجبني جداً العمل التشكيلي العظيم الذي تقوم به سارة حسن، العمل الغير مسبوق في تاريخ البلاد الكبيرة، طالما ظل التشكيليون لأعوام طويلة يخافون من الهواء الطلق وضوء الشمس الساطع، قالت لي سارة:

هي الحاجة وحدها خلّتني ابتكر الفكرة دي العطالة والفقر
وفشل المشروعات الكبيرة.

قلت لها:

لكن العزيمة والصبر وراء دا كله...

هي عوامل مساعدة ما أكثر...

كتبت لي دوشكا تدودروف تسأل عن أخبارنا وأمين محمد أحمد
الذي توقف عن الكتابة إليها... هل سافر إلى خارج السودان كما
كان يأمل مع طفله وحبيبته... لقد حدثني عنهما من قبل وأني
أتكهن الآن بسوء العلاقة بينه وبين زوجته نوار سعد وأتمنى أن
أكون كاهنة فاشلة...

أطفاي يرسلون لكم التحايا والأشواق سنحضر في الوقت المتفق
عليه. سألني مايكل:

- لماذا لا نتزوج اليوم؟!

زهرة الزقوم

صدر ديوان شعر جديد فجأة بعنوان:

زهرة الزقوم

تأليف : أمين محمد أحمد..

إهداء

إلى سابا

يتكون الديوان الشعري من تسع قصائد اتفق الناس جميعاً على أنها تسع قصائد سيئة، وأسوأها قصيدة العُشب،

التي تتكون من مائة كلمة وكل كلمة منها تصبح سبباً كافياً للجنة النصوص والرقابة على الكتب والمطبوعات بأن تأمر بحرق هذا الكتاب وكتابه، ولكن دهبون في السلطة الانتقالية اعتبر أن هذا مطلب يسعى إليه المؤلف من أجل مكاسب أخرى غير منظورة، فسمحوا للكتاب بالتوزيع ولو أنه بدون رقم إيداع ولا اسم ناشر ولا تاريخ إصدار.

العاشقُ البدويُّ: اسمُ الطين

رسالة تكتبها القديسة

رسالة تكتبها القديسة إلى محمد آدم بعد أكثر من ثلاثين عاماً من رحيله بعنوان: العاشق البدوي.

حبيبي محمد آدم، افتقدتك الآن أكثر مما افتقدتك في أية زمن مضى، في أية مكان كان، بأية روح وعاطفة وذكرى... أحسك هوة كبيرة شاسعة فيّ،

لا تجسر ولا تعبر ولا يملؤها موجود الكون كله، هوة تجذبني نحو الأعماق الأعماق، حيث ينتظرن ظلام العالم كله ومواته وثعابينه وعناكبه الشرسة وشياطينه وكل مخافة وطريق مسدود وشوك...

أنا أغفر الآن لك إن مت، فاغفر لي إن جهلناك واختلط علينا اسمك برسمك بقولك، تبدو الآن أمامي واضحاً جلياً، كتابتك البسيطة السهلة المزيّنة بالأخطاء الإملائية والنحوية والتباس المعنى، كتابتك الجميلة في صدقك

وطبيعتك، أنت الآن معي... غريبان في مكان تنتهكه العادية ويسود فيه اليومي... أنت تعرف أنني ما نسيتك لحظة واحدة، لقد كنت معي تشاركني في اتخاذ القرارات الكبيرة التي احتاج فيها لرأي آخر، وقد سافرت معي إلى هولندا قبل خمس سنوات ولو أنها لم تكن تلك التي شاهدناها في الأطلس الصور والرسومات، لكنها كانت أجهل بكثير أكثر بآلاف المرات مما كنا نتصور ونتخيل ونضيف إلى الصور مما نتوقع أنهم لم يصوروه لنا، إنها بلاد مدهشة ونظيفة... كل شيء فيها نظيف وهذا أول ما كنت سوف تنتبه إليه... وكنت ستفاجأ أيضاً بأن الطواحين التي على الأنهر الصغيرة التي كنا نتعشقها سوياً ونظن أنها على شواطئنا ونختلق القصص الغرامية مثل تلك القصة المصورة التي قرأنا (طاحونة على نهر الفولص) وفي القصة الأخرى الجميلة المترجمة أيضاً (رسائل طاحونتي)... وأخبرك بمفاجأة أخرى أنني وجدت الكتاب الذي فيه قصة (الطواحين الهوائية) وهو كتاب كبير جداً جداً ويعتبر من أقدم الروايات، وقصة الطواحين الهوائية هي واحدة من مغامرات كثيرة يحتويها الكتاب، واشتريت منه نسخة مصورة في عشر مجلدات... أعلم أنك لا تقرؤها فلقد كبرت كثيراً... ولكنها مهداة لك على أية حال، وربما إذا أنشأت مكتبة للأطفال في المدينة سأهديها باسمك، علّ محمد آدم ابن أختك ونوار ابنة سابا، الصغيران، يوما ما يتطلعان عليها... في كراستك وجدت رأيك في أبي، ولو أنك كنت حاداً بعض الشيء، إلا أنك اقتربت من كنه حقيقته، وربما الصفات

الجميلة التي وصفته بها في آخر مقالاتك كانت هي الأصدق والأدق...

أضحكتني كثيراً فكرة أنك خفت كثيراً مرة عندما ظننت أنك جعلتني أحبل وأنهم سوف يكتشفون ذلك وسوف يفتضح أمرك، حقيقة كان ذلك اليوم يوماً مدهشاً.. أنا نفسي كنت خائفة لأنني ظننتك أصبت بسوء... الآن وقبل سنين كثيرة عرفت أنك بلغت مرحلة الرجولة في ذلك اليوم... أما أنا فما كنت قد بلغت مرحلة الأنوثة بعد وإلا لكان خوفك في مكانه، لأنك بللتني بمائك في أماكن خطيرة، وعرفت أن أمي عرفت تلك الحادثة لأن للشيء رائحة مميزة وأنا استخدمنا ثوب أمي في تجفيف جسدي... بل سألتني عما فعلناه فنكرت وقالت لي:

- في يوم حيزبحك أبوك، لأنك حتحملني بالحرام...

ونصحتني في مرة أخرى قائلة:

- ما تخلي أي زول يلمسك هناك... إطلاقاً... لأنو دا المكان الوحيد اللي يدخل البنت النار يوم القيامة... والرجال كلهم هدفهم الأساسي إنو البنات يدخلوا النار يوم القيامة عشان الجنة تفضى ليهم براهم مع بنات الحور... اسمعي الكلام ده سمح.

الآن وبكل صراحة ووضوح أتمنى لو أنك فتحت لي باب الجحيم ذلك، أتمنى لو كنت عشت قليلاً لتدخلني النار ثم تمضي

أو نمضي معاً... صدقني لم أحلم برجل إطلاقاً منذ زمن طويل غيرك، فقط قبل أعوام قليلة عندما تعرفت على مايكل وهو شاب في عمرنا تقريباً مجداً ذكياً وسيماً تخرج في كلية الفنون شعبة النحت، بالرغم من أنه مسيحي إلا أننا سوف نتزوج وسوف لا نخشى أحداً، كفاية إنني جاملت كثيراً وراضيت كثيراً وأرضيت، من ناس ومؤسسات واتجاهات فكرية وغير فكرية والآن حكمتي هي: (ما يفيد الإنسان إذا ربح العالم كله وخسر نفسه).

الآن سوف أربح نفسي وأخسر تيجاناً كثيرة ليست في مقاس رأسي...

حبيبي محمد آدم...

الصغير الجميل القروي الطيب الذي علمني أسماء الأشياء كلها والشياطين وأهل الكهف وكلبهم، وأسماء الشياه التي كانوا يمتلكونها واحدة واحدة، وقلت لي... (عندما يأتي المسيح الدجال والمهدي المنتظر سوف يصحو أهل الكهف ويحاربون مع المهدي المنتظر وسوف يصبحون ملوكاً إلى يوم القيامة)...

وهذا يذكرني بحكايتك الأخرى التي تأكدت من أنها ليست من بنيات أفكارك... (حيث كنت تنجر الحكايات نجراً).. إن قرية قرب قريتك تسمى المهدية إنهم يؤمنون بالإمام المهدي كمهدي منتظر حقيقي وأنه لم يمت وهو في آخر الأرض يجند الناس للدعوة

وسوف يأتي في آخر الزمان وأن المسيح الدجال هو القطار البخاري، لأن له عين واحدة وصغيراً كنداء الشياطين، ويتنفس دخاناً).

وقلت لي:

- وقالوا إنو دا هو آخر الزمان..

وعرفت أنك كنت تظن أن هذا هو آخر الزمان لأن العراة الحفاة رعاة الشاة يتناولون في البنيان.
ولكنني أريد أنؤكد لك أنه أول الزمان.

نحن الآن في أول أول أول الزمان وما زلنا في بدايات الحضارة الإنسانية وبداية تشكل الكون نفسه، لقد انسحبت أنت مبكراً من الحياة، ولو عشت مئة سنة أيضاً... ستمضي مبكراً، ولكن هناك تجارب كان يجب أن تحياها، تجارب صغيرة تافهة... بلاد ومدن وبحار وبشر وسفر وموت وميلاد وحياة... لقد ولدت ومت في عصر واحد ومرحلة من الحكم واحدة أسماها الناس اليوم (عصر الظلمات).

والآن نحن في عصر اسمه عصر (أمريكا) وهو زمن به شران وخيران، أما الشران فالأول منهما أن لا أمان لاتجاهات السياسة الأمريكية حيث إنها قد تتحالف مع الشيطان ذاته إذا كان يخدم مصالحها القومية العليا أو يدعم رئيس ما لمرحلة ما. والثاني أن

أمريكا تريد مقابل تختاره هي وتقدره هي وهو: الخياران اللذان
تهبنا إياهم.

أما الخيران فالأول منهما أنها تخيف حكامنا وتترقبهم وفي يدها
عصى غليظة مانعة إياهم من إيذاء المواطنين تحت أية اسم أو
شعار: دينياً كان أو سياسياً...

أما الخير الآخر هو إتاحة فرصة أكبر للناس في المشاركة في
الحكم والثروة...

وبالنسبة لي خيرها أكثر من شرها... هي وجهة نظري ووجهة نظر
مايكل أيضاً.

حبيبي محمد آدم...

قرأت كل الكراسات، حتى كراسات الواجب المدرسي اليومي،
كنت دائماً أفتش بين السطور على معانٍ أخرى، حتى بين سطور
مسائل الرياضيات، كل شيء كان يحمل بصمتك وخصوصيتك
وذاتية لا تشبه أحداً غيرك. واستوقفتني طريقتك في كتابة قصيدة
النهر المتجمد لميخائل نعيمة... فكرت كثيراً في الشطر الأول الذي
كتبته في سطر كامل بخط كبير جداً وقرأته مرات عديدة...

يا نهر هل نضبت مياهك...

يا نهر!!

ماذا يعني النهر عندك؟... وفي قريرتكم نهر وحكاية التمساح
وفاطمة والساحرة حكاية الجنة التي أخذت أحد أبطال حكايتك إلى
أهلها تحت النهر...

موتك أنت غرقاً في النهر؟!

صورة الطاحونة التي في غلاف كتاب رسائل طاحونتي على نهر
صغير...

الأوز، المراكب، الأسماك، الشواطئ، أشجار السنط، مالك
الحزين، البجعات، الحوريات، الرمال البيضاء النقية، النجيلة، هذه
الرسومات التي تنتظم كراساتك وأوراقك الخارجية...

كنت أحاول أن أقرئك في كل شيء وأتواصل معك وأحبك
وأجلك آخذك إلى سرير والدتي الكبير، هل تصدق الآن في المحراب
عندي سرير كبير يشبه سريرنا ذاك وغرفتي بها نعالك وجلباب لك
نسيته عندنا على شماعة الملابس... أنفاسك أيضاً عندي...

حبيبي محمد آدم...

سنلتقي في رسالة أخرى.. اكتب لي أرجوك... أنا في انتظار
رسائلك.

رسالة : العاشق البدوي

رسالة وجدتها القديسة في إحدى كتب محمد آدم
القديمة بالمخزن: «أمي آمنة بت الخضر وأختي زينوبة
والحبوبة حريرة وأبوى آدم، إن شاء الله كلکم بخير وصحة
جيدة، السنة الحمد لله بدت بصورة طيبة، وعمي حسان
قاعد يعاملني معاملة طيبة، وكذلك عمتي سرة وناس البيت
كلهم وخاصة سهير بنت عمي حسان، أكثر زول قاعد
يعاملني تمام التمام، وقاعدين نلعب سوا كل الألعاب
ونذاكر سوا ويوم قالت عايزة تجي معاي القرية عشان
تشوف الطيور والثعالب، وأنا قلت ليها عندنا مرفعين
صغير في البيت وقالت لازم تجي تشوفو... عليكى الله يا
أمي قولي لأبوي يجيب جنى مرفعين من المشاريع عشان
ما أكون كذاب وما يضيع القرد، وأنا برضو عايز قروش
عشان اشتري بيها كتاب خارجي من المكتبة، كتاب ظهر
جديد اسمه الشياطين الـ ١٣، فيه مغامرات،

عمي حسان اشترى لي واحداً منها، هي حلوة ولكن ما ذي حجوات حبوبيتي حريرة وخاصة قصة شبير قنتو إن شاء الله أنا بعد أقرأ الجامعة حاكبتها في كتاب ينباع في السوق ذي الكتب البنشترها دي.

سلامي إلى على ود أبوي صالح وسلامي لخديجة وطيبة ودار السلام، أنا جاي في الإجازة وحأجيب معاي كورة لأصحابي ومجلات فيها صور جميلة وحأجيب معاي سهير برضو.. قولي لأبوي يجيب المرفعين ضروري، ضروري ضروري»

في بيت مايا زوكوف

في بيت مايا زوكوف ما لا يقل عن خمسمائة شخص، أتوا من كل شوارع وزقاقات وعمارات وقطاطي وجامعات ومدارس ومعاهد وأوقات البلاد الكبيرة، وأيضاً من خارجها جاء الساسة والقادة والصعاليك والأدباء والمطاليق والطالبات والطلاب والأساتذة وجاء الشحاذون والباعة الجوالون والأطباء والممرضات والمرضى ودوشكا ترودروف وأبنائها وصديقاتها وأقرباء مداح المداح وأقارب مايا العزيز، سوريون وسوفيت وأمريكان وعربان خليجيان يحبان الشعر، والنور عثمان أبكر، آسيا السخيري وفنانون مغنون ورسامون ونحاتون فرنسيون وألمان وإنجليز وإيرانيون وبعثة خاصة من اليونسكو وإبراهيم أسحق بمركوبه الجميل في صحبة نفر من آل كباشي، شيجرات العرديب حديثة النمو حيث ماتت العرديات الشامخات، وبئر الموسيقى تصدر موسيقى الحياة وحولها الشباب وحيياتهم وفي الحديقة العشب

البري، النجيل والمحريب العطري والأرانب والسلاحف الكبيرة وأجيالها الصغيرة المتفائلة ببطء، الكافتيريا الحديثة المبنية من الرخام والجرنيت بواسطة نحاتين بارعين وفنانين يحبون الله ويفسرون لغة الحجر تفسيراً صائباً، جزارون، بناؤون، لصوص، داعرات جميلات أنيقات نظيفات، يتحدثن في الأدب والسياسة والتاريخ ومايكل أنجلو ويحبن: شاجال.

سابا تخلى الحبشية الجميلة، تلبس ثوباً أبيض يعني أنها في حالة حب تدفع عربة صغيرة أمامها مليئة بالأم بابا والحلوى والكارميلا ويفوح منها عطر (مساء باريس) يأخذ الناس الأم بابا من العربة يأكلونها بعطر مساء باريس ولون الجلباب الأبيض الناصع وشفافة سابا الشهية وهي ترحب بالجميع...
مرحباً... مرحباً....

نوار سعد، الخير، يجلسان على مقعد من أخشاب السنط صنع بطريقة جميلة بدائية توحى بجو العصر الحجري يحتسيان عصير الكركدى وهما يتحدثان عن الخير الذي سوف يحققه خزان كجبار على حسب قول الخير، ولكن نوار سعد كانت تقول له...
الآثار الحيغرقها الخزان... التاريخ يا الخير...

تاريخ شنو يا مرا... التاريخ أهم من حياة الناس؟!
الخزان دا حيحبيب العالم الهربت من الديار راجعين تاني... في

خير أكثر من كذا...

آها قول الناس جو، حيعملوا شنو؟

يزرعوا ويحصدوا يأكلو ويشربوا ويعرسوا ويلدوا في أحسن من
كدا؟

آآها يعني شنو؟

صمت الخير في غضب

الناس الذين لم يروا مايا العزيز من قبل الآن يتفرون في النحت
الذي يحمل عنوان (مايا العزيز)، القام به كل النحاتين الذين
شاركوا في إحياء المنزل والكهوف كما قال ممثل الأمم المتحدة.

- مايا العزيز... كان الشخص الذي أكد لنا أن العالم قرية صغيرة
فعلاً وليست مقولة أطلقها موظف كبير في الأمم المتحدة.

في بيت مايا زوكوف، النعامات يشرهن الضجيج والموسيقى
ويندهشن من كثرة الناس الذين جاؤوا فجأة.. من أين؟!

معمل عرق العرديب القديم الذي يعمل الآن في حضرة
الجميع، الشرطة والقضاء والساسة والدينيون جنباً لجنب مع
الكفرة والعلمانيين وكريم الديانات الأخرى وعم سيف الذين
ومحسن طه لو كوكو: والمنظرون...

وقال أيضاً:

في ظل الدولة المدنية: أنت حر ما لم تتعد حريتك حقوق

الآخرين؟!

تحدث آخر من الشارع فقال:

شكراً للنظام العالمي الجديد...

شكراً لحبيتي أمريكا...

مما أثار حفيظة رجلين وسيمين نظيفين قال أحدهما بصوت

جهور:

سوف ينصرنا الله على اليهود والكفرة قريباً... قريباً...

وكادت أن تنشب معركة صغيرة ولكن البوليس الوطني قام

بحسمها في الوقت المناسب وأكد الضابط المسؤول:

لكل شخص الحق في التعبير عن أفكاره ولكن بالطرق السلمية

فقط.

الصحفيون، كُتاب الأعمدة، ملاك العقارات والجرائد،

الحزبيون، المثقفون، القرويون، رابطة سنار الأدبية، مجنونون،

مسافرون، شاهدوا جمهرة الناس والعربات فنزلوا، الأستاذ مبارك

الصادق، التلفزيون القومي والراديو، قناة الجزيرة، والحرّة والعربية

ودبي، متسوقون ولصوص آثار، أغراب على حمر غير مستنفرة،

لوطيون، ممثلون وفرق شعبية، كواتو، السمانى لوال، جنجويد...

وقال أممي أبيض اللون أشقر بلغة غريبة ترجم له مترجم أسود

اللون ذو لكتة عربية مغاربية، فمما قال:

سوف تتبنى الأمم المتحدة الاحتفال بمايا العزيز سنوياً...
ثم تحرك الموكب إلى كهوف مايا زوكوف على موسيقى أستيف
وندر:

I just call to say I love you.

اتفق الجميع على المشي البطيء بالأقدام الذي سوف يستغرق
ساعة واحدة فقط، يمشون فيها على ذات الخطا التي مشاها مايا
العزيز يوماً طوال حياته في البلاد الكبيرة ما بين بيته وجبل المرسم .
في جبل المرسم كان بانتظارهم آلاف الأطفال وهم يحملون
البالونات والأعلام الملونة يلوحون فرحين مثل ملائكة من الألوان
هبطت توأ من السماء.

سلاماً... سلاماً... سلاماً...

سارة حسن تفتتح معرضها الآن تنقل الفضائيات إنجازها الكبير
للعالم كله...

كانت تتلعثم من الفرحة وهي تحاول أن تشرح لفنان شهير
كيف بدأت...

- الفكرة.. الفكرة بسيطة... بحثت عن عمل ولم أجده..
أرهقتني البطالة والفلس والجري في شوارع الخرطوم، والقعاد في
الأنبي، فأتسع لي هذا المكان... فكرت في بادئ الأمر ماذا أفعل
بالفراغ والكتلة؟! فكرت جدياً ولكنني عندما بدأت... بدأت بدون
أية فكرة مسبقة... بدأت بذهن فارغ ولكنه نقي... إلى أن اكتشفت

الفكرة التي كان يقودني إليها عقلي الباطن، هنا فقط تدخلت الصنعة
والمعرفة أو التسعين في المائة التي تحدث عنها بيكاسو...

ثم سألتها عن قطعة صغيرة سوداء من الجرانيت

دي طفلة؟

طفلة...

نعم..

طفلة أجهضتها في المعتقل...

آسف... آه

هي تجربة للناس كلهم.. لا تخصني أنا وحدي... ولا أخجل
منها أبداً...

نعم... نعم... علينا نحن أن نخجل... نحن بالذات...

يقف الفنانون الذين أنجزوا الكهوف وأعادوا إليها الحياة في زهو
وفخر يتحدثون عن تجربتهم، عن حياتهم كمال زكريا تحدث عن
حبيبته، الأسر والأطفال والبدويون، الأجانب الطلاب وأصحابهم
من كليات وجامعات كثيرة، فنانون... فنانون... فنانون في كل
صنف ولون ومدرسة وعالم... كان مهرجانياً بهيجاً حافلاً بالمفاجآت
وأعظم هذه المفاجآت أن كل شيء مر على ما يرام... في كل لحظة
كنا نتوقع حدوث شيء ما... ولم يحدث أما الخبر الذي مر عبر كل
لسان هو أن الشيخ طه هو الشخص القابض على الدخول الذي جُمع

بشأن الاحتفال بمايا زوكوف وأنه يحصل من منظمة اليونسكو وحدها على ما يقارب النصف مليون دولار غير تبرعات أصدقاء وأحباء مايا زوكوف والدعم الذي قدمته الحكومة السورية من أجل إحياء ذكرى مايا، الذي يعني عندهم إحياء ذكرى مداح المداح وإحياء روابط صداقة ما بين حكومة البلاد الكبيرة وبلدهم، اشترى الاحتفال بمايا بمبلغ عشرة ملايين دينار محلي فقط...

بصق الخير سفة صعوط كبيرة وهو يخرج رأسه من شباك العربة...

فهموني يا جماعة... يعني كيف يشتري الزول احتفال... هو بقرة ولا نخلة!!

قالت له نوار:

لا هو نخلة ولا هو بقرة... أنت نخلة ولا بقرة... أنت ذاتك هنا يشتروك ويبيعوك...

قال وهو يلمس حجاب الضراعي بصورة عابرة:

أنا البشتريني ويبيعني أمو ما ولدتو...

قال له مايكل ضاحكاً:

نوار...

قال مبتسماً:

معلش... نوار... التشريني نوار... وياريت لو سوت كدا من

زمان...

ولكنه فجأة استدرك قائلاً...

هي مرا والمرا كان اشتريتك انت سيدها وكان اشتريتها انت
برضو سيدها.. شوف يا مايكل أخوي البطلع في أخو منو؟

فانفقع الجميع بالضحك... قالت القديسة لنوار:

زولك دا مجنون... وحليبي... حلبي عديل...!

ردت نوار وهي تخفض السرعة قليلاً...

ومتخلف...

قال الخير:

الزول البقول الحق عندكم متخلف... عشان كده أخير بيعوكم
ويشتروكم زي البهايم... بس اشرحوا لي... كيف زول يشتري
احتفالاً؟؟!!

مقابلة... مقابلة عديل...

ما فاهم...

قالت القديسة:

عجبك الاحتفال؟

مدهش والله... ولكن الزول المحتفلين بيهو دا... مش كان أحسن
تحتفلوا بالولي إدريس ود الأرباب أو الشيخ فرح ود تكتوك.. أو حتى

سيدي الحسن... أنا ما شايف أي داعي للبيعملوا فيهو دا...

ردت القديسة:

أنت عارف لو نحنا احتفلنا بالشيخ فرح ود تكتوك حيكون برضو
في واحد عنده رأي وحيقول لينا: أنا ما شايف أي داعي للبتعملوا
فيهو دا.. عشان كدا... كل زول يحتفل بالعايز يحتفل بيهو...

حتى لو كان كافراً؟!

حتى ولو كان شيطان...

قال الخير موجهاً كلامه لنوار سعد:

رأيك كدا برضو يا نوار...

قالت نوار:

هو مختلف شوية ولكن ما بعيد من رأي سهير حسان...

كيف؟!

انت عايز تعرف التفاصيل دي ليه!!

عشان بس أفهم حاجة...

انت يعني ما فاهم...

قال وهو يخرج كيس صعوطه ويبدأ في تجهيز سفة كبيرة...

الأنا فاهمو انتو ما فاهمنو... الانتوا فاهمنوا أنا ما فاهموا ولا

حأفهموا... ولكن قلت أخير ياخير تكون قريب شوية...

قال له مايكل وهو يتسم...

كلامك كلوا صاح يا الخير...

انت عارف من الأحسن تكون ما عارف البيحصل هنا... ونحن نكون ما عارفين البيحصل هناك لأننا... وأنا أتحدث عن نفسي ما فاهم الحاصل هنا شنو... أطرش في الزفة... كفاية زفة واحدة... ما تبقى لي زفتين.

قال الخير ضاحكاً:

عايز أقول ليك... وبصراحة.. هنا زي هناك... طالما في إبليس وفي حكومة... في كذب ونفاق وظلم... وفي ناس زي ناس نوار ديل شايلهم الموج...

قالت له نوار مغتظة:

انت الشايلك الموج...

أنا... والله... أنا لو سكران... سكران واقف زمبرليلي.. ما بعمل العملته دا...

هتف مايكل وسهير في وقت واحد:

أمين... أمين...

عندما توقفت السيارة، كان أمين لا يبعد عنها سوى مترين فقط، نوار التي أوقفت المحرك بصورة مفاجئة كانت أول من ترجل من العربة لتسلم على

أمين محمد أحمد بالحضن وهي تسأل:

- وين أنت يا ملعون.....؟

تسالمتنا بحميمية وشوق حقيقي، ترجل أخيراً.

الخير وسلم عليه مندهشاً.

- وين أنت؟

قال:

- موجود... في البلدي... مرمي وين؟!

- في المدينة

- نعم..... في المدينة دي وما طلعت منها؟!

- لا لسوريا طبعت الكتاب وعدت...

فسألته نوار مشاكسة.

زهرة الزقوم؟!

قال مشدداً على الكلمة الأخيرة.

- أيوا... زهرة الزقوم...

ضحكنا جميعاً ما عدا الخير، الذي كان ينظر للجميع في

استغراب.... عاد وجلس في مقعده في العربة... يلهي نفسه بعض

شاربه ومراقبة ذلك في مرآة العربة،

- زهرة الزقوم... اسم يخلصك أنت وبودلير؟!

- بودلير... بودلير كان عايق.....
- وأنت برضو عايق...
- وكان تافه...
- وأنت برضو تافه...
- وكان خصي...
- أنت برضو خصي...
- ضحكنا... ضحكنا... قال أمين لي...
- اسمع يا مايكل أنا راضٍ... ولكن أنت عارف تشبه منو؟! قلت له:
- منو؟! قال: وهو يخفض صوته لأدنى مستوى ممكن.
- الخير...
- كدنا أن نموت من الرعب جميعاً، ولكن لم يسمع الخير شيئاً، وادعيت بعدم الاهتمام بالموضوع حتى لا يطيل فيه... قال
- لم تسألني من وجه الشبه...
- قلت له..
- أعرف...
- قال مصراً..

- - لا... أنت لا تعرف... إذا كنت تعرف قول...
- قلت له خليك من الموضوع دا
- قالت نوار التي كانت تتابع الحوار باهتمام بالغ.
- أنا عايزة أعرف وجه الشبه...
- قال، دون تردد.
- فحل مأجور وأنت فحل مأجور.
- قالت له نوار.
- أنت دائما تثير المشاكل يا أمين...
- قال...
- ووجه الشبه الآخر... أنت وهو تفكران بالجزء الأسفل في
ذكوركم...
- ثم أضاف فجأة..
- عايز أصل معاكم المركز الثقافي الألماني..
- قال لي أمين محمد أحمد عند ما تركنا معاً بالمركز الألماني الثقافي.
- أتعرف أن علاقتي بسا با ما تزال جيدة .
- وأنني أقابلها وقتما شئت وأينما شئت والآن بإمكانني أن أضرب
لها تلفون وتحضر إلى هنا في بحر نصف الساعة وبعربة زوجها بل
يحضرها الشيخ بنفسه ويتركها لي ويذهب !؟

- كيف... كيف؟!

- وأقول ليك برضو... علاقتي بنوار سعد جيدة جداً جداً...

- قلت مكماً كلامه...

- وإذا ضربت لها تلفون حتجي في خلال عشرة دقائق وفي
صحبة الفحل الخير نفسه ويتركها لك ويرجع إلى البيت؟!... مش
كده؟!

قال لي... بصورة جادة وهو يقف على رجليه

- لا... خيالك يحتاج إلى تنشيط..

تعال... تعال معي...

ودخلنا إلى حجرة صغيرة في المركز خلف صالة المعرض
يستضاف بها كبار الزوار، معلق على جدرانها في كل الاتجاهات
لوحات للفنان صلاح إبراهيم، كان الجو بارداً في الداخل، وأمام
منضدة صغيرة من خشب المهوقني، على كرسي وثير، يجلس
شخص أبيض، يتصفح اليوم رسومات كبير، قال لي....

سلم على الخواجه دا؟!...

- هاي...

ولدهشتي أن رد لي.

- أهلاً مرحباً.

قال لي..

- إنه لا يتحدث الإنجليزية بطلاقة ولكنه يعرف اللغة العربية
معرفة جيدة والفرنسية والألمانية والروسية ولغته الأم هي الإسبانية
ثم خاطبته قائلاً.

- هذا صديقنا.. مايكل... هو فنان... ويغني أيضاً بلغا محلية

- أهلاً وسهلاً... أنا أحب الفنانين والنحاتين والمغنين
والصعاليك أيضاً.

ثم التفت إلى قائلاً...

- ذا خوان بيدرو...؟

- خوان بيدرو بتاع المتحف الإسباني.... بتاع مسيو دل
برادو....!!

- أيوا.... أيوا... أيوا...

قال خوان بيدرو....

- أتعرفني...

قال له أمين

- مايكل أحد أصدقاء نوار سعد...

- ها.. نوار سعد الجميلة.. ستحضر بعد قليل.. إنها صديقة
قديمة..

لقد جئت إلى حضور الاحتفال بذكرى مرور أعوام كثيرة على وفاة مايا العزيز وأن أرى نوار سعد...
كان تماماً كما وصفته لي نوار سعد ذات مرة، أجمل رجل قبيح في العالم،،

ولو أنه ستيني أو خمسيني ولكن - مثله مثل نوار يبدو شاباً، كان يتحدث بطلاقة عن الفنانين الإسبان الجدد، مدارسهم وحياتهم أيضاً، يبدو كما لو كان يعرف كل شيء عنهم، أدق التفاصيل، وقال في ذلك «إن الاهتمام بدقائق حياة الفنان هو نوع من الفن، فالفنان هو المعادل الموضوعي لفنه»

اعتذر عن تناول طبق الزقني لالتزامه بمواعيد مع أحدهم في الغداء.

قالت لي

أمين يحب طبق الزقني بالدجاج متبلاً بالدليخ القديم،
ويبدو أنه كان يأكل بشهية كبيرة وأنه متوازن نفسياً.

قال لي - أنا تعلمت الكثير في هذه الحياة وأقول لك سرا
لا تنساه وهو «إن الرجل الذي وطأ المرأة مرة في أي ظرف
كان، بإمكانه أن يطأها مرة ومرة أخرى مهما تغيرت
الظروف، زوجة كانت، عازبة شبيخة أم شابة، لأن حاجز
العري والجنس ينكسران مرة واحدة ولا ينجبران إطلاقاً»

تحدث كثيراً ثم قال: لي ألم تقف في هذا البيت من شعري :

(ليس لدى الشاعر امرأة

وليس .

لديه ... نشيد)

قلت له ... بل توقفت عند قصيدة ولت ويتمان التي

يقول فيها:

Women sit or move
To and fro
Some young, some old
The young are beautiful
But the old are more
Beautiful than the young

قال لي....

- أنت دائماً تدعي معرفتي ... أنت ... عارف القديسة عمرها
كم ؟

قلت له،

- لا يهم ... أنا أحبها لا لأنها كبيرة وناضجة وأنا مصاب
بالعقد؟! ولكن لآني بحبها.. وبس ؟! قبل أن أسمع بقصيدة وولت
ويتمان.

قال وهو يستعد لبلع لقمة كبيرة من الإنجيرة بالزقني والدليخ:
ساخرا.

- أنا برضو قلت كدا.

تركت أمين، وفي نفسي شيئان: الأول إن أمين ربما خدعني في
مسألة خوان بيدرو، وان خوانه هذا ليس إلا ممثل متواطئ، والشيء
الآخر كلما دار عن نوار وسابا فيما يخص تجدد علاقاته بهما، هو

أيضا كذبة أخرى الهدف منها حفظ ماء الوجه، لكنني قلت لنفسِي:
قد يكون صادقا، فالمسافة ما بين الحقيقة والكذب هي أقرب من
المسافة ما بين حقيقة وحقيقة أخرى وأقل التباسا.

أمين السوداني : ينام مع الفئران

المرفعينان الصغيران كبرا سريعاً ولأنهما يأكلان كثيراً جداً ولا يطعمان إلا بالفم، فإن تربيتهما أصبحت أمراً مكلفاً بالنسبة لنا في المحراب واتفقنا أنا ومايكل على التبرع بهما لحديقة الحيوان الوطنية ورفضنا عرض المتحف الطبيعي الذي يسعى إلى تحنيطهما، لأننا نريدهما أحياء لقد أصبحا من زمرة الأصدقاء، محمد آدم الصغير لم يحضر إلى المدينة ودخل الثانوي في القرية المجاورة، ولكنه أرسل سلامه وسؤاله عن المرفعينين عن طريق أحد أقربائه وبلغناه بفكرة إهداء الحيوانين إلى الحديقة العامة لأن إطعامهما أصبح أمراً عسيراً بالنسبة لنا وأنهما قد ينجان مرفعين أخرى وبذلك تصبح عملية سلامة وأمن المحراب في تلتلة وخاصة أن أسرتين من العرب الرحل جاءتا واستقرتا قريباً من المحراب وفي القريب القريب أي بعد مائة مائتين سنة سيصبح مدينة.. مدينة كبيرة لا يتذكر سكانها من أين جاء اسم المحراب ويطلق المؤرخون لخيالاتهم العنان وسيؤلفون خطبا جميلة مسلية عن اسم

المدينة، تنيم به الأمهات أطفالهن، وفاجأنا محمد آدم الصغير وأمه بزيارة المحراب (نص مفقود).

حضرت نساء الخير إلى المدينة في صحبة جميع أطفالهن على ظهر عربة لوري كبيرة: غبر، شعث، غبش ضاجون ماجون تتطاير من ملابسهم ورؤسهم الرمال البيضاء الناعمة، يثيرون الأتربة، يضحكون بدون سبب ويندهشون.

كان الأطفال أربعة عشر بينهم خمسة أولاد وتسع بنات، ينحدرون ما بين عمر سنة واحدة إلى عشرين عاماً حفاة، في ثياب رثة ولكنهم جميلون وطيبون وادخلوا البهجة في نفوسنا والسؤال أيضاً وأغضبوا الخير غضباً شديداً....

وصلنا نحن - أنا ومايكل ومحمد آدم وأمه - إلى منزل نوار سعد بعد دقائق من إخطار الخير بأن هناك نفر غرباء في انتظاره بالخارج على عربة اللوري العملاقة... جئنا والمشاجرة التي ابتدراها الخير كانت في أوجها... كانت زوجته زينب الصغيرة تصرخ بالقول.... - أنا يا الخير كان شرطي معاك واحد فقط، أنت عارفو ونوار عارفاهو... وقتلو قدام شهود... أنت لو عرست نوار أنا وعيالي كلنا نجي ونسكن معاكم هنا في العاصمة وأنت وافقت..

وبعدما تزوجت عملت أضان الحامل طرشاً.... سديت دي بطينة ودي بعجينه والآن ليك تسعة أشهر ورجلك دي ما ختيتا في

القرية.... عشان كدا نحنا جينا وأقول ليك أنا ولا العيال ما حنرجع
للقرية تانية...

- وأنا كمان،

قالت زينب الزوجة الكبيرة.

كان صاحب اللوري يترجى الخير أن يدفع له ثمن الرحلة حتى
يتمكن من الذهاب إلى السوق والبحث عن رزق آخر، وبعد ذلك
بإمكانه مواصلة المشاجرة مع نسوانه...

قام الأطفال والمساعدون بإنزال العفش بينما ما زال الخير
يجادل المرأتين ويطلب من السائق أن ينتظر ليعيدهما للقرية
وسيدفع له ثمن المشوار كاملاً.... خرجت نوار سعد على سماع
الضجيج ولكنها عندما تنبته لوجودنا رحبت بنا وطلبت منا أن
نتفضل بالدخول وقبل أن يتم ذلك، سلمت على المرأتين والأطفال
بحميمة وجمال وطلبت من الجميع الدخول وتناول الطعام وترك
المشاجرة إلى وقت آخر وقبل الجميع الاقتراح...

مايكل والخير والصبية ومحمد آدم قاموا بإدخال العفش، الذي
لم يكن سوى سراير من الحديد منسوجة بحبال السعف وكثير من
العناقريب والبنابر وسحارتين للعفش وبعض ترايبز الحديد
والخشب ذات الألوان البنية الداكنة نتيجة لتراكم الأوساخ عليها،
أحذية قديمة، ملابس مربوطة، في حزم كبيرة جولات بها أطعمة

مجففة، أدوات صناعة الكسرى والقراصة، حلل وكمش ومفاريك وملاعق، راديو ترانسستور كبير الحجم في إطار من الخشب المضغوط، مراكيب قديمة، عصي، أدوات زراعة وبناء، مشلعيات، لدايات، حطب وقود وطلح للدخان وشملات. وأغطية، زجاجات سمن ولا ينسى أحد البهائم السبع التي ربطها الخير جميعاً في ركن البيت الشرقي قرب الديوان، وهو المكان الوحيد الذي يحفظ الحديقة بعيداً عن أسنان وأضرار الأغنام، كان يوثقها بالحبال وهو يسب ويسخط ويتوعد المرأتين حالفاً بالأيمان الغلاظ وقبر أبيه والطلاق.

- إذا لم أأدبكم، أدب المدايح.... يا. بنات الكلب....

كان الأطفال يحذرونه ولا يحتكون به ويتجنبون أن تلتقي عيونهم بعينيه، كان لا يكف عن الكلام وهو يعمل هذا، ويرمي ذاك ويربط تلك ويرفس ذاك... عندما صلينا صلاة المغرب في جماعة استأذنا بالذهاب إلى المحراب وخرجنا.

الحكمة : امرأتان

عليّ أن أتصرف بحكمة، لا أنكر أن وقع الزيارة المفاجئة كان ثقيلاً وأنه أشعل الجيرة كلها بالأسئلة وشمّت الشامتون عليّ... ولكن قلت لنفسِي،

- كوني يانوار قوية واتجاوزي المحنة....

بعد أن ذهبت القديسة ومايكل وضيوفهما جلسنا أنا والخير و«امراتاه»... كان الخير يصر على حل واحد لا ثاني له وهو أن تعود المرأتان بابنائهما... وتصر المرأتان أنهما لن تعودا وإذا عادتا فبدون الأولاد....

المرأتان باسم واحد، زينب ويفرق بينهما بزینب الكبيرة وزینب الصغيرة، زينب الكبيرة نحيفة طويلة لها سواد جميل ونعومة فائقة وهي سكوتة أو ربما اكتفت بأن تكون زينب الصغيرة ثرثارة، والصغرى جميلة أيضا وسمينة طويلة لها بشرة بنية وعينان واسعتان ذكيتان عنيدتان، يمكنها رد أية جملة يقولها الخير بسرعة فائقة ولها مقدرة على تفنيد آرائه ونفيها بطريقة تحسد عليها، وهي لا تخشاه إطلاقا

ولا تخاف قسمة وتهديده بالطلاق أو الضرب، كانت تصر على شيء واحد.

أنا ما ماشة من العاصمة دي خطوة واحدة... ويعني ما ماشة....
إذا كنت معك أو غيرك... لو طلقيني برضو حاقعد مع أولاد
عمي في الثورة أنا تاني ما ماشة للعذاب والرملة القبيحة والخرابات
والخلا... عديل كدا قلت ليكم.

- وأنا كمان....

قاتلها الأخرى خجلة، بسرعة وبعين باهتة، قلت لهما...

- أنا راي برضو ذي رأيكم...

حتسكنوا في الخرطوم جميعكم عشان الأولاد والبنات يدخلوا
المدارس ويتعلموا حاجة تنفعهم...

بتلقائية وعاطفة نقية وروح حلوة انقضت على المرأتان بوسا
وحضنا، وتحديثا حديثا جعلني أبكي، لقد وصفن لي الحياة هناك،
فصلنها تفصيلا محزناً، قلن لم يبق هناك سوى الموت... قلن ما لم أراه
في زياراتي إلى القرية... وعرفت أنني كنت أرى القرية وفي ذهني صورها
قبل عشرات السنين وما كنت أرى من واقعها الحالي شيئاً... وحسيت
بأنني كنت أنانية أي أخذت منها عمودهما الفقري وبنيتها وابن نوحها...

قال الخير محتجبا

- والأرض؟! -

قالت زينب الصغرى:

- أنت حتمشي تبيعها لو في زول يشتري خرابة بيعها ليهو... ولو عايز تقعد فيها.. أقعد أسقيها... وأحسن تنساها نهائيا.

- والتمرات... التمرات برضو.... انتو بتحلموا ساي؟؟؟

قالت له زينب الصغرى :

- والتسعة أشهر القاعدها في الخرطوم دي كانت شنو؟! دا ما النسيان ذاتو...!

ثم أضافت.

- الحاجة ام الخير قاعدة هناك، تقوم بالواجب، مش حتمشي تشوف أملك؟

- يا وليه إنني قايمة على كدا ليه ؟!!!!

أختاي نوار ونورة تسكنان في السلمة مع أطفالها، ولديّ أنا بيت كبير هناك لا يبعد كثيراً عن منزل آدم وسارة حسن والمنزل فارغ به الخفير فقط، أخذنا الأسرة الكبيرة إلى هناك، المشكلة الأساسية كانت في تعليم الأطفال حيث أنهم لا يمتلكون شهادات ميلاد ولا يمكن إثبات أعمارهم إلا بالحكايات والقصص والمقاربات والمشكلة الكبرى أن السنة المدرسية في نهاياتها...

والحل الذي هدتني إليه زينب الكبرى كان عمليا ومنطقيا... قمنا ببناء فصل داخل الحوش من الحصير والمواسير الصلبة وأتيننا

بمعلمة واحدة، معلمة صف، وانتظم الجميع الأمهات وأطفالهن في الصف الأول الابتدائي من منازلهم، ولكن الخير كان (ينقنق).

- أنا ما عايز أولادي يتربوا في البلد دي.. كلها فساد وشر وصعاليك ومشردين...

وأصبح موضوع العودة للقرية هو الصباح والغداء والعشاء وخاصة عندما تمردت بنته الكبرى «ست البنات على المعلمة وقالت

- أنا ما عايزة أقرأ... عايزة أرجع الحلة وانضمت إلى صف الخير ولو أن الخير كان يعرف تماما سبب تمرد ابنته إلا أنه فضل ضمها إليه على الأقل الآن... أما في القرية فموضوع المحجوب ود المحجوب حيتعالج بسهولة.

وأخذ الخير يفتعل الشجار مع المعلمة، مع النساء، مع الأطفال، معي، الجيران الباعة الجوالين، أصدقائنا، الشرطين، عمال النظافة، وكل من هب ودب، وصل ذروة غضبه حينما قال لي:

- أنت عايزة لبناتي يصعلكوا زيك؟!

- زي أنا... وأنا مالي....

- أنت عارفة نفسك كويس... أنت وصحباتك وأصحابك... صنف واحد

- أنت بدأت تخرج من حدودك...

- أنا حدودي أولادي.... وبس... أرفعي يدك منهم... اطلعوا

انتو من حدودي.

عمل الخير سمساراً في سوق البلح بموقف دنقلا بالحلة الجديدة... تزوجت ست البنات المحجوب ود المحجوب ود تويسة ورجع بها إلى القرية، زينب الكبيرة عادت مع ابنتها على شريطة ألا يغيب عنها الخير أكثر من شهر واحد وقالتها بالحرف الواحد.

- أنا عندي نصيب معاكم...

البهجة التي نفحتنا بها زيارة دوشكا تودروف وأطفالها الاثنان لا توصف ولو أن حرارة الجو التي دائماً ما نتجاهلها نحن وتزعجهم بل تعتبر إحدى معاناتهم اليومية، بالإضافة إلى الذباب والغبار إلا أنهم كانوا يستمتعون بحق وحقيقة في كل لحظة قضوها في البلاد الكبيرة، كانوا يسألون من كل شيء...

- كل شيء هنا لا يشبه كل شيء هناك إلا بعض عربات اللادا والبطاطا والفدكا...

تجولوا في الخلاء المفتوح والغابات والأنهر والآبار وأوا الحيوانات الطليقة والتماسيح والقرنتي والناس أعجبهم المحراب عجباً شديداً واهتم الأطفال بالصلاة فصلوا تحت الدومات الثلاث لعبوا من على بعد كاف مع المرفعين الصغيرين الجميلين ذوي الرائحة العفنة وأطعموهما لحوم الدجاجات واحشاء الماشية...

كانوا يقيمون في منزل مايازكوف، وهو ذات البيت الذي اختبأ فيه أمين محمد أحمد بعد فشل زواجه بنوار سعد حيث اعتكف على

كتابة ديوان « زهرة الزقوم »... أحبه أطفال دوشكا تودروف حباً جما
وألفوا أغنية قصيرة لأجله....

أسموها « أمين السوداني ينام مع الفيران » وأصبح منظرًا مألوفاً في
شوارع المدينة « الخواجية وأطفالها والرجل الأسود » يتمشون على
أرجلهم في كل هنا وهناك قال لي الخير.

- أمين يا دوب لقي شبهه.

لم أقل له التعليق الذي خطر في بالي عند سماعي جملته، قلت

- يبدو.. يبدو... لك...

قال...

- الخواجيات ما عندهم مشكلة زيهم زي البهائم.... دا طالع دا

نازل....

قلت..

- بأنهم بقدرتون العلاقة الزوجية ويحترمونها أكثر مننا نحن...

- انت بتظن ان دوشكا عندها زوج؟

عندما رجعوا إلى روسيا، سافر أمين السوداني الذي ينام مع

الفئران معهم.

النهايات : عفة الخيانة

سابا تخلى، بعد عامين، ستنجب طفلاً جميلاً، وهو الوريث الشرعي الذي سيحتفى به الشيخ طه احتفاءً سيصفه كتاب صحافيون حاقدون: بأنه نوع من البذخ والترف.

الشيخ طه السمين، الذي يحب زوجته الحبشية سابا، ويحب زوجته الأولى أيضاً، ويحب نساء كثيرات أخريات مرّ عليهن في بلدان شتى، عندما سافر إلى ماليزيا في صحبة زوجته الجميلة سابا، في رحلة عمل وسياحة مرضية، معهما طفلته الأملح نوار، وولده ووريثه الشرعي النور، قبل أعوام كثيرة، عرض نفسه لطبيب، ذلك عندما داهمه التهاب بغيض في البروستاتا، عندما فُحصت حيواناته المنوية وُجد أنه : « لا ولم ولن ينتج حيواناتاً منوية لا حية ولا ميتة » كلما يستطيع أن ينتجه، سائلاً لزجاً مثل الويكة، له رائحة الفاكهة المتعفنة، لونه أبيض، يجف بسرعة لا تتناسب مع خواصه الكيميائية إذا تُرك للهواء، يمتلك منه قدراً كبيراً ولكنه لا يفيد في شيء.

لم يقل شيئاً لسابا، لم يصرخ فيها، لم يوبخها، لم يتهمها بالشرمطة، لم يسألها من أين لها، لم يطلق عليها الرصاص ولكنه فقط لمّح لها ذات مرة أنه لا يرغب في أطفال آخرين: خلينا نكتفي بالولد والبنت الربنا أكرمنا بيهم ديل ويس.

الخير علي: رَجُلٌ مِنَ الطَّمِي

الخير علي صالح، الآن هو أحد أغنى سماسرة العاصمة
والماسك النهائي لأرباح كل بلحة وردت الخرطوم من أية
جهة من البلاد الكبيرة.

بناته التسع الحلوات في مدارس العاصمة الكبيرة وفي
معاهدها، في رقة مَدِينَةٍ عظيمة، ولكن عندما يشتم الصبيةُ
الطائشون الخرطوميون صدورهن الناهدة، ومنبت
شعورهن، تفاجئهم رائحة الصحراء، نحيب النهر البعيد
وهمهمة البلحات الطازجات...

أبناءؤه السبعة، هم الأصغرون سنًا، ما زالت اللكنة
الحلوة التي اكتسبوها من الحبوب والخالات والروايب
وبيوت الطين وطيور البلح، والنيل، تعرف بهم...
أصغرههم محمد خير هو ما سوف يُعرف بكاتب رواية:

«عَرَقَ الحصى» لأنها أثارت حفيظة بعض الشواذ جنسيا
فحاولوا قتله وهو لا يتعد الخامسة والعشرين من عمره، محمد
خير هو ابن نوار سعد، أنجبته من الخير ذاته ومن رحمها بالذات :
كما يحلو لها القول.

نوار سعد: الحياة تُعني الكثير

نوار سعد، كتبت مذكراتها بعد أن أنجبت طفلاً، لقد استفادت من التطور في علم الإنجاب الاصطناعي وبقليل من التحمل والدولارات والسفر، استطاعت أن ترقد العالم بشخص أسميته محمد الخير، بدأت متفائلة سعيدة وهي تكتب عن طفولتها الشقية البائسة وأيام الجوع والحرمان ووفاة والدتها وكلاب أبيها والرمال والجروف، مزارع البصل، الهروب إلى إسبانيا، سنوات الجامعة الصديقات، الأصدقاء، العشاق وفي هذا الفصل اعتذرت أولاً لطفلها محمد خير لأنها سوف تكتب بصراحة ووضوح غير معتاد عليه في بلد يدعى كل من فيها أنه لا يحب ولا يمارس الجنس ولا يرتكب المعاصي وأنه من أهل الجنة وآل البيت... عن ما يازو كوف فلاديمير ومдах المداح، قالت: إنها لم تندم على لحظة واحدة عاشتها....

كتبت مذكراتها بصدق وحب وصراحة وجمال لا يوصف، كانت تعرف أنها سوف لا تحضر شباب ابنها

ولا رجولته بل تشك في أنها سوف تراه وهو في السادسة أو الثامنة عشر من عمره... ولكنها كتبت من أجله فقرة تقول فيها «فقط أعرف أنك عندما تبلغ عمري هذا...» العالم حينها سيحظى بعجوز خبير في الحياة».

المحراب : القلبُ الذي يَعشَقُ

..

..

المحراب،

قرية المحراب، ضريح الشيخ المختار.

مايكل : جنوبي جميل

مايكل وزوجته سهير حسان وبتاهما يحجون سنويا من أمريكا إلى قرية المحراب، في وسط فصل الخريف حيث يحج لنفس المكان الأحياء من الأصدقاء جميعهم، آدم وزوجته وأطفاله، دوشكا تدروف وأبناؤها وزوجها أمين محمد أحمد وأبناء الخير، محمد آدم، وأصحابه الطلاب بالجامعة، نوار والنور طه، وكثيرون كثيرون كثيرون،

الشرطي : يعني دائماً رجل الأمن كمال

كتبت سارة حسن في دفترها، بدون تاريخ:

لم يستطع أحد أن يفهم ما معنى أنني أريد قتل هذا الشرير الشرطي القذر كمال أمين، أنهم يخلطون ما بين الانتقام والعدل، ولو أن الجمع اتفق على عدم تسليمه إلى الحكومة، لأن ذلك يخدم كثيراً من القتلة والمجرمين الذين هم الآن مايزالون على سدة الحكم، ولو أنهم غيروا جلودهم ولكنهم لا يتسامحون في أن ينبش ماضيهم العفن الدامي، بالتالي أن نسلمهم إياه يعني أن نريحهم : ولن نفعل.

وبنفس المنطق يصبح قتل الشرطي كمال الأمين هدية أخرى وخدمة مجانية لوزراء وولاة وتكنوقراط ونواب الآن ترتعب فرائصهم لمجرد ورود أسمائهم في قوائم القتلة بالإنترنت،

ولكن لم تفهم وجهة نظري بأن أقتله أنا بيدي يعني أنني أقيم العدل بأسمى معانيه وإنسانيته، أن يقتل المقتول قاتله،

إنني أشوق أن أراه يتعذب ويتألم تماما كما فعل بي، كما فعل بعشرات النساء: أن أراه يموت.

قلت لهم منها جدلا أخذ أكثر من ساعتين ويطول

- حاقوم بالموضوع دا براي.

قال آدم في هدوء.

-أنا معاك.

قالت نوار، قالت سابا، قال برهاني، قال مايكل، قال أمين محمد أحمد: حنكتله سوا.

وضعت الخطة بصورة جماعية في كهوف مايا، مباشرة بعد اليوم الختامي للاحتفال السنوي بمايا العزيز، حددت الأدوار والأسلحة، واتفق الجميع على استخدام القبر الفارغ بالكهف الكبير لدفنه به والتخلص من جثته، على أن أقوم أنا باستدراجه إلى الموقع المتفق عليه، وهو الكهف الكبير نفسه.

وكنت أعرف مكان إقامته، لقد أخبرني به ذات مرة، إنه مكان جبلي وعر تنبت فيه أشجار الكتر ومستعمرات الحسكنيت، يبعد عن الكهوف ما يقارب الساعة والنصف مشيا على الأرجل، وصفه لي قائلا:

- دا واحد من الأماكن الأنا بقعد فيها، ربما يوم محتاجي لي؟
قلت له في ذلك الحين.
- ما أظن.

ولكنني احتجت اليه، نعم، حدث ذلك بالفعل، لأنني قررت أن
أقتله بنفسي، ووحدني وفي مسكنه وبدون أن يعرف أي كان ذلك.
مشكلتي الأساسية إنني لا أعرف أن أستخدم أية أسلحة، لا
نارية ولا بيضاء ولا حتى العصي، بل لا أعرف مجرد الدفاع عن
النفس، وهو - بلا شك - يجيد كل ذلك، ولكنني أعرف شيئاً آخر لا
يستهان به، وهو استخدام السموم، بالذات الزرنيخ، حيث إنني
دائماً ما استخدمه في عملي اليومي في صنع بعض الألوان الحجرية
لاستطالة عمر اللون وإعطائه بهاء وبريقاً خاصاً يدوم لسنوات كثيرة
نسبة لمقاومته للحرارة والضوء والماء.

ومعروف أن قدراً ضئيلاً من الزرنيخ في وزن حبة البن بإمكانها
قتل فيل في حجم قطيعة، ولكن كيف يصل هذا السم إلى معدته؟

أخذت ثلاث عبوات بأحجام صغيرة، خبأتها في أماكن مختلفة:
حقيبة اليد، جيب المنطلون وفي فراغ كعب الحذاء، أخبرت آدم بأنني
سأقضي صباح الغد بكهوف مايا زوكوف، وربما لا أعود إلا عند
الخامسة أو السادسة مساءً، لدي عمل فني من الحجارة أحاول أن
أقوم بإعداد دراسة له، و لأنه يعرف أنني لا أكذب صدقني وأخذني

بنفسه إلى الكهوف، اشترى لي ماء وطعاما من الطريق وألح على أن نتناول وجبة الإفطار معا، لأنه يظن أنني عندما أعمل أنسي نفسي من الطعام والشراب، ثم أوصاني بالأهمل شرب الماء مذكرا إياي بالتهاب الكلي الذي أعاني منه منذ أن خرجت من المعتقل، وذهب.

تحركت مباشرة بعد أن غادر آدم إلى المدينة لموقع عمله، كنت امشي بسرعة فائقة، تتخط وتتصارع الأفكار في رأسي، كل فكرة تمحي الأخرى وتنفيها وتفهمها، بمعنى إنه ليست لدي فكرة معينة في رأسي، لدي الزرنوخ بوفرة، قلت لأضع بعضا منه في الماء، قد يشربه، لالالا لا يمكن انه ليس بهذه البلادة، سوف ... لالالا لالا، إنه ... لدي الإصرار والعزيمة على قتله فقط، ولكن لا شيء آخر، دخلت غابة الكثر والحسكيت، وانتبهت لمعركة عنيفة ما كنت قد وضعت لها اية حسابات وهي أشواك الكثر والحسكيت، التي استطاعت ان تعيق حركتي تماما، ولأنني أعرف الموقع ولا أعرف بالضبط المكان، لم أر قطية ولا بيتا ولا كهفا ولا حتى مجرد أجمة عشبية تقي من حر الشمس أو المطر، فكانت مشكلتي أكبر، حيث أخذت أدور على نفسي في ذات المكان، ذات الحسكيت ذات الحسكيت ذات الحسكيت ذات الحسكيت ذات الحسكيت، ذات الكثر ذات الحجارة الصماء الخرساء الساخنة، ذات ريح السموم، الشمس الحارقة، ذات الجبل الذي يحتل الأفق كله، مرت ساعتان وأنا لا أعرف أين أذهب، شربت نصف ما لدي من ماء، وما زلت أحس بالعطش وجفاف الحلق، أخذ يسري في

أعضائي هبوط طفيف من فعل العرق حيث أفقدني كثيراً من الملح،
بيني وبين نفسي عرفت أنه قد خدعني، لا يمكن أن يرشدني إلى
مخبئه، وهو يعرف أنني أيضا أريد قتله، لقد كنت ساذجة وبليدة
وقادني الانتقام وحده إلى هذه المتاهة، ولقد قال لي من قبل آدم أن
الانتقام عاطفة مضللة ولكني لم أع الدرس، جلست تحت شجرة
لالوب عملاقة لألتقط أنفاسي قبل أن أعود أدراجي إلى البيت،
أحتسي بعض الماء وأطعم قليلا من الخبز، حيناً أحسست بظل
ثقيل يقترب مني، سرت قشعريرة مميتة في عمق لحي

قال بصوت أجش وهو يضع رجله على عود جاف خلفي فيطوق
تحت وزنه مضيفا للظل موسيقى تصويرية مرعبة

- أنا عارف أنك حتجيني... عارف... أنا حبيك الأولاني، فلان
الفلاني.....

وأخذ يضحك بافتعال

فنهضت مرعوبة، أخذت أحملق فيه

قال لي :

-آها جيتي تقتليني ولا جيتي مشتاقة لي؟

قلت له من بين أسناني:

-انت شايف شنو؟

قال وهو يحاول ان يبدو مبتسما

- بصراحة أنا شايف الأثنين سوا، حب وموت، يعني دا الحب الموت.

ثم أضاف وقد بدأ على وجهه مرح غريب: أخافني.

- يلا نمشي تشوفي بيتي، هو ما بيعيد من هنا وما قريب شديد.

قلت له إن الوقت قد تأخر وأني قضيت الساعات هنا أبحث عن بيته منذ الصباح الباكر وأني لا أستطيع عمل شيء سوي العودة إلى البيت، ولكنه أصر على أن أذهب معه، فقط لأتأكد من المكان حتى لا أضيع وقتي في البحث في المرة القادمة، وذهبنا.

في الطريق قال لي إنه لم يكن في بيته منذ الأمس، وأنه كان في المكان الآخر، وهذا المكان الآخر يعرفه هو والله فقط، بعد أن عبرنا ممرات تحيطها أعشاب الحسكيت والكتر، وقفنا أمام شجرة تنضب وارفة تقوم على حافة كتلة صخرية عملاقة، يبنى عليها العنكبوت بيوته وتتطفل عليها نبتة متسلقة نسميها هنا السلعلع، قال لي،

- دا هو البيت.

قلت له مندهشة.

- انت العنكبوت ولا السلعلع؟

قال:

- لا العنكبوت ولا السلعلع؟ ولكن العنكبوت والسلعلع سوا سوا.

ثم جذب غصن شوك كبير لم ألاحظه في باديء الأمر كان يرقد ما بين التنضبة والصخرة، فظهرت بوابة لمغارة يشع الضوء من عمق سحيق فيها، قال لي

- أنا أسكن هنا، من الداخل واسع ولكن مدخله ضيق ودا للتأمين، ادخلي
قلت خائفة:

- لأ أنا ما حأدخل، خلاص عرفت المكان وحاجيك مرة ثانية.
و حاولت أن أعود أدراجي للبيت،

في الحق كنت مرعوبة وخائفة، واحسست بالخطر يحيط بي،
الخطر الفعلي احس بأنفاس الموت في أذني تتلاحق، ولأول مرة في حياتي يتتابني مثل هذا الرعب، قال لي

- حتدخلي معاي حتدخلي معاي وأعدك ما في حاجة حتحصل ليك.

كان يتحدث في ثقة مفرطة محتفظا في فمه بابتسامة صفراء

- لأ، لو عايزني أجي تاني، خليني أمشي وأوعدك بأني حأجي.
ولكنه أصر إصرارا غريبا لدرجة إنني أحسست أنه إذا لم ادخل

سيغتالني، ودخلت، مررت بحذر ما بين التنضبة وحافة الصخرة، حنيت رأسي إلى مستوى الركبة، مشيت بتلك الهيئة مترين ثم وجدت نفسي في بهو عريض في حجم حجرة صغيرة، به إضاءة خافتة تصدر من أركان كثيرة، توجد مفارش نظيفة على سرير من الخشب، ملابس معلقة على تراييزة ملابس من الحديد، هنالك دولا ب من الحديد، وتفوح من المكان رائحة التراب الرطب، وشميم واهن من الفضلات الإنسانية،

قال لي وهو يشير إلى الأعماق

- في غرفة ثانية.

- غرفة ثانية، غريبة.

وعبر ممر ضيق كنا أمام حجرة عليها باب من السيخ تماما مثل الحراسة، أمامها ممر في عرض المترين، وقبل أن أسأله قال لي:

- نحن ما وحدنا، عندي ضيوف قبلك.

ثم صاح بصورة مسرحية .

- رجبو بسارة حسن يا شباب!

كما في الحلم، من خلف القضبان، وعبر الرؤية الشاحبة، حيث كانت هنالك لمبات كبيرة من الغاز في أماكن كثيرة، ظهر شبهان، وبصوت واهن ضعيف، كالفحيح سمعت شبعا يقول، بصوت جائع:

- سجمك يا سارة الجابك هنا شنو؟

بعد ذلك لم أع بشيء، لا أدري بعد كم من الزمن أفقت، حيث وجدت نفسي عارية تماما، في قفص تحيط به الصخور في جهاته الثلاثة، والسيخ من الجهة الرابعة، معي امرأتان نحيفتان تفوح من فميهما رائحة السل، تنمو الشعيرات في أطرافهما، لهما أظافر طويلة بأصابع رجليهما وأناملهما، شعرهما كأنه أعشاب في مفازة منسية مهملة، المرأتان عاريتان كما ولدتهما أمهاتهما، يبدو أن شعرا كثيفا أو زغبا قد نما على جسديها كنت أحس ذلك في ملمسهما المرعب الذي تشقعر له جلدي، تموتان، تحتضران، تتحدثان في صعوبة بالغة، تفوح من المكان رائحة البول والصنان.

كان هو في الخارج يتحدث باستمرار، ويحتسي الخمرة، عندما عرف أنني استيقظت قال لي

- مرحبا بك في بيتي، وشوفي أنا لابس نعالك، يعني الحالة واحدة..

عبر ضوء الفوانيس استعطت أن أرى عريه التام، وحذائي الصغير يزرح تحت ثقل جسده ورجله الكبيرة الخشنة

قلت له في غضب

- انت زول قدر ووسخ.

قال في برود

- وتاني.

- حقير.

- وتاني.

- قاتل ومجرم.

قال في برود

- بس؟؟

- مش وعدتني إنك ما حتأذيني؟

قال بثقة

- أنا ما أزال على وعدي.

- والعملته دا شنو؟

- أنا عايزك تكوني جنبي ودي الطريقة الوحيدة البتتحقق لي دا،
وأنت ناسية إنك زوجتي وأنا ما طلقتك، واتزوجت علي؟؟ مش
عيب وحرام؟؟ أنا زوجك بسنة الله ورسوله؟

قالت لي إحداهما، في صوت واهن ما معناه إن النقاش معه غير
مجدي، فسكت، عرفت منهما إنه أخذهما بذات الطريقة التي
استدرجني بها وأن أملنا الوحيد في الخلاص هو الموت كما ماتت
فتاة كانت في ذات القفص، وهما لا تدريان كم من الزمن مضى
عليهما في هذا المكان، فقط تعرفان أن إحداهما أت بعد الأخرى،

أحضر لنا الطعام والماء عن طريق فتحات السيخ، ثم قال لي - اعرني أنه مافي مخلوق يقدر يهرب من هنا، ومن الأحسن نحاول نتعلم الحياة مع بعض ونحاول ما نخون بعض ولا نعتدي على بعض ولا نغدر ببعض، وكل اختراق للميثاق دا ولو مرة واحدة يعني الموت، والشباب ديل عارفينمش كدا؟ أنا الوحيد المسموح لي بالغدر والخيانة؟

ثم أضاف في قسوة

- عايز اعرني ردك؟

قلت له محاولة كسبه على الأقل إلى أن أجد حيلة للخلاص

- موافقة.

- ابتسم وهو يقبض على أعضائه التناسلية بيده اليسري، ووعاء الخمرة بالأخرى

- في الحالة دي تعالى، عايزك.

وفتح الباب بسحبه بالقوة للخارج، أصدر صريرا مرعبا، ودون أن يقول كلمة سحبنى اليه، وترك الباب فاتحا.

هتف في المرأتين في رعب.

- نوم.

فانكمشتا على بعضهما وأخذتا تتحجان في صمت.

قال لي :

-أنا ما حأمارس معك الجنس، ولكن إنتي حتقومي بالموضوع دا، أنا بصراحة عايز أحس أنه أنا معتدي علي، حياتي كلها قاعد أعتدي على النساء، عايزك الليلة تعملي العكس، أنا منتظر آآها أعتدي على تعالي اغتصبيني، عايز أكون ضحية....

رقد على الأرض على ظهره في الممر مباعدا مابين فخذه، وضع كوب الخمرة قربه على الأرض طلب مني أن اعتدى عليه مرة أخرى، أن أغتصبه: كان عضوه منتصبا قبيحا ومستفزا.

وقمت بذلك، بكل ما لدي من قوة وبكل ثقلي ضربت برجلي على عضوه التناسلي، عندما حاول أن ينهض، ضربته مرة أخرى في وجهه، ثم أخرى ثم أخرى، لم أترك له مجالا للنهوض، كان صامتا وهو يضع كلتا يديه على أعضائه التناسلية، ثم غاب عن الوعي، لكنني لم أقف عن الضرب، كنت خائفة أن ينهض أية لحظة ويقتلني، بحثت عن شنطتي أو منطلوني، لم أجدهما، رأيت حذائي يقبع ليس ببعيد عن الموضع، حيث كان يرتديه، بضربة واحدة للحذاء على الأرض اندفع كيس الزرينخ للخارج فأخذه بسرعة بالغة سكبته في كوب الخمرة وأفرغت كل محتوياته في فمه فابتلعه في صمت.

قلت لهما في نشوة مَنْ انتصرتُ لكنها لا تخلو من الخوف،
بصوت لا أدري من أين خرج، في الحق كنت أحسُّ به يخرج من
استي مباشرة، أو ربما كانت تصطحبه (ضربة) لم اسمعها،

- كتلتها، الحقيق، رِيحْتكم منو، يلا يلا اطلعوا، انتو حرات
وصرخت بأعلى صوتي

- حرات حرات حرات!!!!

قالت لي سوسن دون أن تنظر إليَّ

- لأ، دا ما ييموت، حيحيا تاني، وحيكتلك ويكتلنا كلنا .

قالت آمنة وهي ترتجف في شفقة.

- ليه عملي كذا؟! حرام عليك! حيقتلنا كلنا، حيقتلنا يا
سارة.

عرفت أنهما ما زالتا لم تصدقا أنه قد مات، فطلبت منهما أن تنظرا
إلى وأنا أركله بقدمي، ألقبه، أبصق في وجهه، وقلت لهما

- تعالوا..... وبإمكانكم تبولوا في خشمه، تعالوا بولوا
في خشمه.

صرخت فيهن.

وعندما لم تحركا ساكنا وزدادتا في الصراخ، دخلت عليهما في

الزنازة العفنة، وأخذتُ أسحبهما، وأفكهما من بعضهما البعض، وأنا انتهرهما في هستيريا، لقد كانتا أيضا على حق، أنا نفسي قد قتلته من قبل مرة! قتلته فعلا! قتلته، قتلا لا شك فيه في كهوف مايا زوكوف، ولكن هأنذا أقتله مرة أخرى.

علينا أن نهربَ من هذا المكان بأسرع ما يمكن، نعم، لقد ابتلع من الزرنينخ ما يقتل ألف فيل وخرتيت، وهو الآن ميت، ولكن ما ضمان أن يحيا؟! وتملكني رعب عظيم وتخيل لي أنه بدأ يتحرك، بل بدأ يتكلم، بل يصرخ، سيهجم، سينقض، فأصُبتُ بهستيرية، وبعنف، بقوة، بجنون، أخذتُ أجرحهما من داخل الزنازة؛ ولأنهما كانتا مريضتين وجائعتين؛ لأنه لا يطعمهما إلا القليل الذي يبقين علي قيد الحياة، ولأنهما مصابتان بالسل والأنيميا، فكانتا تستجيبان لقوتي بسهولة، كانتا لا تستطيعان المشي، فأخذتا ترحفان على بطنيهما، تحبوان كالأطفال، بدا لنا الكهف كبيرا جدا، شاسعا جدا، مظلمًا جدا، بليدا، عنيفا، مخيفا جدا، يتمطي (كودامبعلو) أسطوري مريع، استطعت أن أوصلَ آمنة، إلى قرب المخرج الذي تم إغلاقه بغصن من أشواك الكتر القاسية بإحكام، عدتُ إلى سوسن حيث إنها أخذت تصرخ في هستيريا منادية باسمي، كانت تقول لي بصوت متقطع:

- حي قوم تاني، حيكتلنا

حاولت أن أطمئنها عن طريق وضعها في حضني وضمها إليّ،

لكنها كانت تقاوم بشدة أية محاولة اقتراب منها، بل كانت تحاول أن تعود مرة أخرى للزنزانة المرعبة، أمسكتها من يدها، جررتها على الأرض كجوال من التبن، نعم كنت قاسية بعض الشيء، لكنه إذا أفاق من موته سيقتلنا جميعا، وقد يحيا في أية لحظة.

كنا في المرسوم نحتسي القهوة، عندما تذكرت، ليس فجأة؛ لأنها دائما ما كانت تتذكر ذلك اليوم، قالت لي:

- اذا كنت امتلك أية قوة كنت كنتك في الوكت داك،

حقيقة كنت أريد أن اتخلص منك بأية طريقة، أريد أن أبقى في الزنزانة، كنت أحسُّ بأنه لم يمضَ، بل هي خدعة من خدعه الكثيرة، موت من موتاته المرعبة، كان أحيانا يجلس لساعات وأيام عدة على الأرض لا يتحرك، لا يأكل، لا يشرب، لا يتبول، ربما لا يتنفس أيضا، حتى إذا أردنا الهرب، نهض في رعب كالشيطان وأعاد اعتقالنا وضربنا.

المخلوق دا شيطان، شيطان حقيقي، ولكن لما تركتيني، حقيقة أحسيت بخوف السنين.

كانت تضحك بعمق، لكن ما يزال باقي الخوف في وجهها، وهي تحكي كيف أنها جرت على قدميها، بسرعة مبالغ فيها وأنها سبقتني إلى غصن الشوك، وأنها هي التي أزاحته جانبا وانطلقت تعدو في غابة الحسكيت في الخارج.

الساعة الآن تدق معلنة الواحدة صباحا، توقفت سارة عن كتابة مذكراتها، كان آدم لم ينم بعد، يعد العشاء، في الخارج أصوات عربات تهرب مسرعة بين وقت وآخر، سارة في الآونة الأخيرة عملت على كسب صديقات من نساء الجوار، حدث ذلك بعد صعوبة، لأنهن كن يتعاملن معها في بادئ الأمر كامراة مثقفة، لها اهتمامات غير اهتماماتهن، وأسلوب في الحياة غير أسلوبهن، لدرجة أنهن كنَّ يسألن أنفسهن: كيف تبدو امرأة محددة ومثقفة مثلها في فراش زوجها؟ وافترضن بطرقهن الخاصة أنها متعالية، وتهاسن بأنها شيوعية، وعرفن بأنها متردية سجون، وقولات أخرى كانت حاجزا بينها وبينهن، لكنها كانت تقوم بزيارتهم بصورة متواصلة وكنَّ يرُدُّنَ لها الزيارة، لكنهن عرفن وتأكدن من أنها امرأة عادية، وواحدة من النساء الجميلات، مثلهن، عندما طلبت من نُسبية جارتها أن تدعوها إذا أشعلت حفرة الدخان.

- سجمي بتتدخني برضو؟

مايزال القلم في يدها وهي تتفقد آدم في المطبخ، كانت تفوح منها رائحة دخان الطلح، وبغنج أنثوي لذيذ، جعلت منخريه يمثلئان بعطر النار الشهي.

البلاد الكبيرة: السودان بيتُ التعب

ظهر ديوان شعر في المكتبات بعنوان البلاد الكبيرة،
ألفته آمنة الخير مكتوب باللغة النوبية ومترجم للعربية
ولغة الفور والهوسا الدينكا في مقدمته كتب ناقد عجوز
مايلي :

وهذا شعر... لا تسألني عن القافية لا تسألني عن
الوزن، لا تسألني عن انتقاء المفردة لا تسألني عن
الموسيقى الداخلية، لا تسألني عن اللغة، لا تسألني عن
الأخيلة، لأن دَا كُلو لا يوجد في هذا الديوان .

أمين : أمين محمد أحمد

- روسيا بغير شيوعيتها لا تعني شيئاً سوى طرقاً تشبه تلك التي يصفها أنطوان تشيكوف في قصصه القصيرة.

دعوني أسكر بصورة جيدة.....

ها هو زوج امرأتي يحتفل بسماية ابني ويسميه كما يشاء لأنه سيرث ماله الحرام....

- ناتاشا، اقتربي مني أكثر .

- قلت لك مراراً، أولاً، أحكي لي، ماذا تريد أن تفعل

بي....

- أنا أيضاً قلت لك مراراً تعلمنا في بلدنا أن الحديث عن الجنس حرام وعيب وقلة أدب... ولكن فعله نؤجر عليه...

- أنا يمتعني الحديث عنه أكثر مما يمتعني الفعل

- إذا اقرئي الكماسترا... أو تزوجيه....

رسالة : كتبت نوار طه إلى محمد آدم

كتبت نوار طه إلى محمد آدم في دفتر محاضراتها بينما
كان يتحدث الأستاذ المحاضر عن خصائص المادة
المكونة للصخر: أحبك.

عبد العزيز بركة ساكن

العاشق البدوي

٢٠٠٤ / ٨ / ١

خشم القرية

الفهرس

إهداء.....	٣
في الحُب : مَنَزَلَةُ الشَّيْخ.....	٥
القَبْرُ: رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ.....	١١
رسالة: الأَصْدِقَاءُ لَا يَنْسَوْنَ.....	٣١
نُور سَعْد : لا وقت للأقنعة.....	٣٥
في القرية: ابتسامَةُ الرمل.....	٣٩
في القرية : نَحْو العَاشِقِ البدوي.....	٤٧
في المدينة: تَمَارِينُ نَيْفَاشَا.....	٦١
كتابات: رسائل إلكترونية.....	٦٧
«العزيزة سابا تخلي».....	٧٠
«صديقتنا دوشكا تدودروف».....	٧١
كتابة: مخلوقات لذيدة.....	٧٣
الكهف مرة أخرى: الخير.....	٧٥
جماليات الكوارث: فصلٌ فِي المَالِ الحلال.....	٨١
سابا تخلي: فِي مَدِيحِ الحبشيات.....	٨٩
في الكهف مرة أخرى.....	٩٥
كِلاَبٌ: لَصُوصٌ وَطَلَّاقٌ.....	١٠٥

- ١١٣ القديسة : شهير حسان.
- ١١٩ زهرة الزقوم
- ١٢٠ العاشق البدوي : اسم الطين.
- ١٢٧ رسالة: العاشق البدوي.
- ١٢٩ في بيت مايازوكوف
- ١٤٥ قالت لي:
- ١٤٨ أمين السوداني: ينام مع الفئران.
- ١٥٣ الحكمة : امرأتان .
- ١٥٩ النهايات: عفة الخيانة.
- ١٦١ الخير على : رجل من الطمى .
- ١٦٣ نوار سعد: الحياة تُعني الكثير.
- ١٦٥ المحراب: القلب الذي يعشق.
- ١٦٦ مايكل: جنوبي جميل.
- ١٦٧ الشرطي : يعني دائماً رجل الأمن كمال.
- ١٧٩ عطر النار: كتبت سارة أيضاً.
- ١٨٤ البلاد الكبيرة : السودان بيت التعب.
- ١٨٥ أمين : أمين محمد أحمد.
- ١٨٦ رسالة: كتبت نوار طه إلى محمد آدم.

